

تفسير سورة النبأ

سورة النبأ من القرآن الكريم

حقوق الطبع محفوظة للمحقق

الطبعة الأولى

١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

ردمك: 978-9961-934-56-2

رقم الإيداع القانوني: 2015/4969

دار الأثرية
للنشر والتوزيع

عنابة / الجزائر

جوال: 00213791317734

dar_elatharia@yahoo.fr

دار المنارة
للنشر والتوزيع

القاهرة / مصر

جوال: 00201278821670

daralmotaqa@gmail.com

تفسير سورة التائبين

شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

تحقيق وتعليق

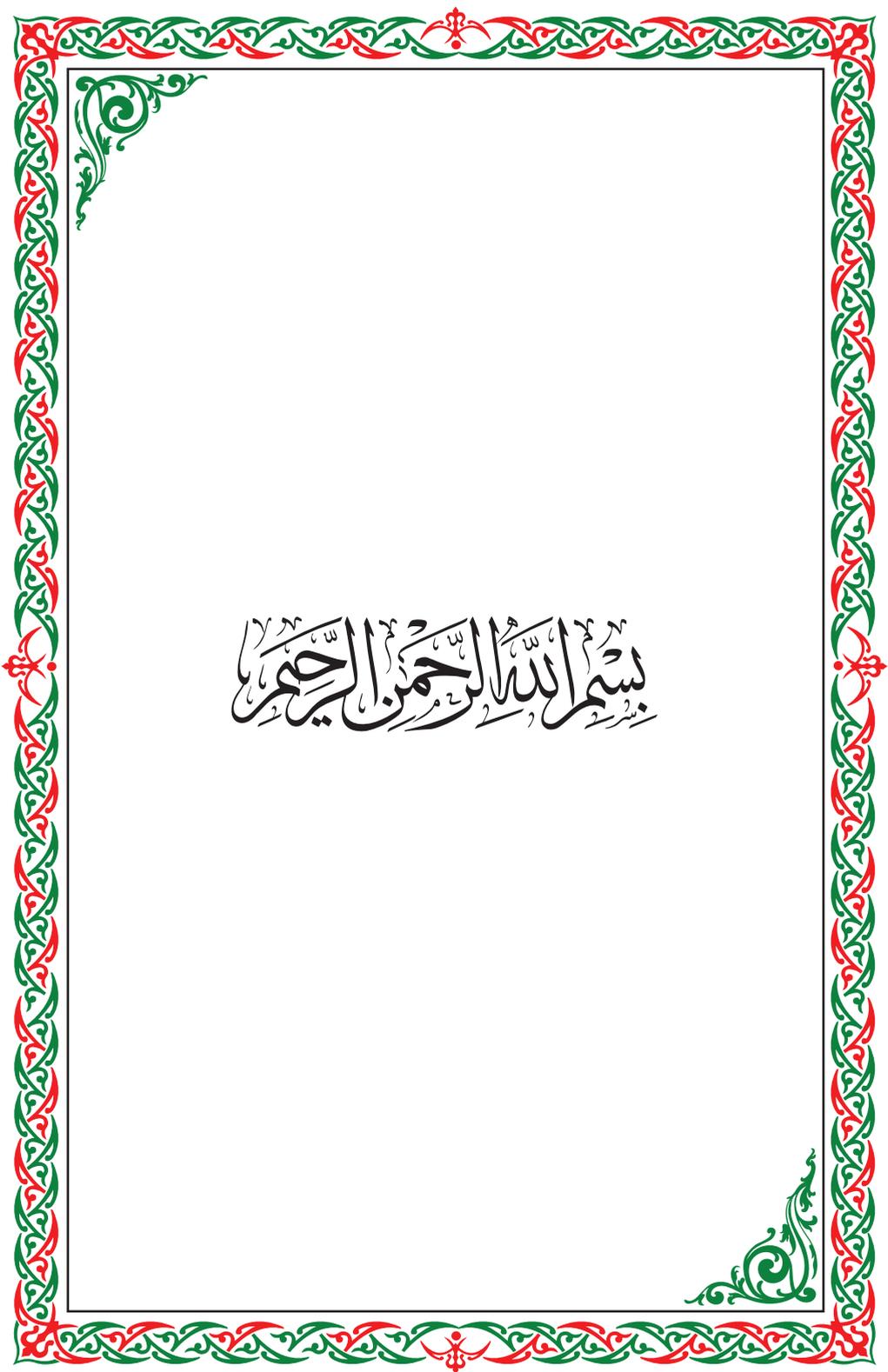
د. محمد بن عبد الرحمن بن السريتماء الزوي

أستاذ الدراسات العليا

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الدار الإسلامية
للنشر والتوزيع

مكتبة
النبي
للنشر والتوزيع



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

إِنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].
﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧١﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمر محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، ، وبعد:
فإن الشرور التي تصيب الإنسان -أعاذنا الله وإياكم منها- إما أن تكون من الخارج وإما أن تكون من الداخل ولا ثالث لهما.

ولذا فقد وردت النصوص بالأمر بالاستعاذة بسورتي الفلق والناس؛ لاشتمالهما معًا على الحرز من الشرور كلها داخلها وخارجها.

ففي سورة الفلق استعاذة من ﴿شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ ومن ﴿شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ ومن ﴿شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ ومن ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ وهذه تشمل كل شر من خارج الإنسان.

وفي سورة الناس استعاذة من شر الوسوسة التي هي أصل الشرور من داخل الإنسان . وبالاستعاذة بالسورتين يحترز الإنسان من الشرور كلها داخلها وخارجها، ولضرورة أن يعرف المسلم الكلام الذي يستعيز به ويناجي به ربه فقد بحثت عن تفسير لهما ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل، حتى وقفت على مخطوطة لشيخ الإسلام الإمام/ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-. فسّر بها السورتين، تبين لي أنها تلخيص من الشيخ لتفسير ابن القيم -رحمة الله تعالى- لهما فما زادني هذا إلا حرصاً عليها فحسبك بابن القيم علماً ومعرفةً في موضوع هاتين السورتين خاصة، وفي العلوم الشرعية عامة.

وحسبك بالشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- قدرة على التقاط درر الكلام وجواهره.

أما موضوع سورة ﴿النَّاسِ﴾ وهو ﴿الْوَسْوَاسِ﴾ فقد يستهين به بعض الناس ويحسبونه أمراً هيناً، وقد يقول أحدهم ليس الخوف من الوسواس والوسوسة وإنما الخوف من تخلي بعض الشباب عن التمسك والالتزام بالدين، وغاب عن أذهان هؤلاء -ولم يجهلوا- أن أول معصية من البشر كانت عن طريق الوسوسة قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾ [طه: ١٢٠]، وقال سبحانه: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٠].

وقد ردّ ابن القيم -رحمه الله تعالى- على أولئك الذين يرون أن الوسواس خير من التفريط في الدين فقال: «وأما قولكم: إن الوسواس خير مما عليه أهل التفريط والاسترسال وتمشية الأمر كيف اتفق، إلى آخره.

فلعمر الله إنهما لطرفا إفراط وتفريط، وغلو وتقصير، وزيادة ونقصان، وقد نهى الله ﷻ عن الأمرين في غير موضع . . فدين الله بين الغالي فيه والجافي عنه . وخير الناس النمط الأوسط، الذين ارتفعوا عن تقصير المفرطين ولم يلحقوا بغلو المعتدين وقد جعل الله سبحانه هذه الأمة وسطاً، وهي الخيار العدل، لتوسطها بين الطرفين المذمومين، والعدل هو الوسط بين طرفي الجور والتفريط، والآفات،

إنما يتطرق إلى الأطراف، والأوساط محمية بأطرافها فخير الأمور أوسطها»^(١). ولهذا وذاك فقد بادرت لتحقيق تفسير سورة «الْفَلَقِ» ونشرها مستقلة، ثم حققت بعد ذلك سورة «النَّاسِ» وقد قصدت نشر كل سورة مستقلة عن الأخرى لما أشرت إليه في مقدمة تفسير سورة الفلق، من أن عند الناس رغبة فيما قلّ ودل. وأن كثيرًا منهم يزهد في المطولات من التفسير سيما أن الناس في هذا العصر يميلون إلى الكتب الموجزة والمختصرة، التي تُقرأ في مجلس أو مجلسين ويسميها بعضهم (كتب الجيب)^(٢).

ولأن القارئ أيضًا إذا أتم قراءة تفسير سورة واحدة كان أنشط له وأبعث على التحصيل منه لو استمر في قراءة كتاب يشتمل على تفسير السورتين معًا. وقد حرصت في تفسير سورة الناس على التعليق على بعض المسائل وإلحاق بعض الفوائد المتعلقة بالموضوع خاصة من أقوال ابن القيم -رحمه الله تعالى- نفسه صاحب أصل التفسير سواء كان النقل من تفسيره أو من غيره، ونقلت عن بعض علماء المسلمين الآخرين.

فإن قيل: ما زدت على أن عمدت إلى تفسير مختصر، ثم عدت إلى الأصل ونقلت منه ما حذف فأعدت التفسير إلى أصله فلم تأت بجديد. قلت: هذا حق لو كان الأمر كما تقول، ولكن الأمر يختلف، فالمختصر لم أمس منه شيئًا.

أما الهوامش والتعليقات فقد أوردت فيها من العلوم والمعارف ما أحسب أن التفسير الأصل بحاجة إلى احتوائها تعليقًا وتوضيحًا، وأوردت فيها أيضًا ما ليس في التفسير الأصل مما أحسبه يزيد جلاء المعنى ويوضحه. وما نقلته -بعد ذلك- من الأصل فإنما ليرتقي بمستوى التفسير درجة لمن يرى في نفسه استعدادًا أكثر وليناسب درجات الباحثين فينتقي كل باحث منه ما يناسب درجته، وقديمًا جرى

(١) «إغاثة اللهفان» ابن القيم (١/٢٠١).

(٢) مقدمة تفسير سورة الفلق: للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص: ٦).

العلماء على تأليف (البيسط) و (الوسيط) و (الوجيز) و (الكبير) و (الأوسط) و (الصغير).

فمن ضاق وقته عن الزيادة ففي المتن خير وزيادة، ومن اتسع وقته وتاقت نفسه إلى المزيد، ففي الهوامش من كلام العلماء ما أحسب فيه فائدة، ومن أراد أكثر من ذلك فدونه الأصول والأمهات^(١).

التعريف بالمؤلف:

الحق أني قد ترددت في الترجمة للمؤلف لأنه سبقت مني الترجمة له -رحمه الله تعالى- في تحقيقي لتفسيره لسورة الفاتحة، وفي تحقيقي لتفسيره لسورة الفلق.

ثم بدا لي أن الترجمة يجب أن تصاحب كل كتاب يطبع مستقبلاً للشيخ، فقد يقع في يد من لا يعرف شيئاً عن المؤلف ولم يقع في يده الكتاب الذي يحمل الترجمة، فعزمت على أن أنقل الترجمة في كل كتاب أنشره من كتبه رحمه الله تعالى، وليكن هذا عذري في تكرار الترجمة فأقول: «هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان آل مشرف التميمي، ولد سنة (١١١٥هـ) في بيت علم، وخلق، وشرف، فقد كان أبوه قاضياً للعبينة، حفظ القرآن قبل أن يكمل اثنتي عشرة سنة من عمره، وقرأ الفقه والتفسير والحديث، ورحل في طلب العلم فبدأ رحلته بالحج، ثم ذهب إلى المدينة المنورة وأخذ عن علمائها حينذاك، وفي المدينة رأى ما يقع فيه بعض أهلها من البدع والمنكرات عند قبر الرسول ﷺ، وفي البقيع، وقد أنكر ذلك وحذر منه.

ثم عاد إلى نجد وسافر منها إلى البصرة، وأخذ عن علمائها كذلك، ورأى في البصرة ما هو أشد مما رأى في المدينة المنورة، رأى القبور المُسْرَجَة والطائفين يتمسحون بالقبور والبدع والمنكرات، ولم يطق ﷺ صبراً على ذلك فأنكر عليهم الباطل وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، فأخرجه أهلها وطرده من البصرة في حمارة القيظ حافي القدمين عاري الرأس -ليس عليه سوى ثوبه وقميصه .. وكاد

(١) مقدمة تفسير سورة الفلق: للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص: ٦).

الشيخ أن يهلك عطشًا لولا أن هياً الله له من حملة إلى الزبير وسقاه، وعاد منها إلى نجد عن طريق الأحساء، وعاد إلى حُرَيْملاء حيث نقل أبوه من قضاء العيننة إلى قضائها، ثم توفي والده سنة (١١٥٣هـ)، فواجه وحده كيد خصوم الدعوة ولكن بعد أن ذاع صيته، وانتشر خبر دعوته، وألّف في تلك الفترة كتابه (التوحيد الذي هو حق الله على العبيد) ثم ضاق أهل حريملاء بدعوته فطردوه، وهَمَّت طائفة من عبيدهم بقتله وتسوروا عليه بيته ولكن الله نجاه فذهب إلى العيننة، واستقبله، أميرها ابن معمر وأحسن وفادته، وهدم ما كان في العيننة وما حولها من قباب ومشاهد على القبور وقطع الأشجار التي يتبرك بها بعض الناس.

وما زال أعداء الدعوة يتربصون به حتى أُخرج الشيخ من العيننة وتوجه إلى الدرعية ووجد من أميرها محمد بن سعود العون والمساعدة، فتبايعا على نصرته دين الله، وإحياء سنة رسول الله ﷺ، وإماتة البدعة.

وانطلقت الدعوة بعد أن اتخذت الدرعية قاعدة لها فكاتب الشيخ رؤساء البلدان وأهلها وعلمائها يدعوهم إلى الانضمام إلى دعوته فاستجاب كثير منهم، فأقيمت الفرائض والنوافل، ومُحقت البدع والمحرمات، وأزيلت المنكرات والشركيات، وارتفعت كلمة التوحيد صافية نقية بعد أن شابها في تلك الفترة عبادة غير الله ودعوته.

وتفرغ الشيخ للعبادة والتعليم، وتوافد عليه العديد من طالبي العلم الصحيح وألّف عددًا كبيرًا من المؤلفات منها:

- ١- كتاب التوحيد.
- ٢- كتاب الإيمان.
- ٣- كتاب أصول الإيمان.
- ٤- فضائل الإسلام.
- ٥- فضائل القرآن.
- ٦- كشف الشبهات.

٧- آداب المشي إلى الصلاة.

٨- استنباط القرآن.

٩- مسائل الجاهلية.

١٠- الكبائر.

١١- مفيد المستفيد بكفر تارك التوحيد.

١٢- الرد على الرافضة.

١٣- تفسير سورة الفاتحة. وقد قمت بتحقيقه والتعليق عليه وطبع مرارًا.

وعددًا من المختصرات، مثل:

١- مختصر الصواعق.

٢- مختصر العقل والنقل.

٣- مختصر منهاج السنّة.

٤- مختصر فتح الباري.

٥- مختصر زاد المعاد.

٦- مختصر الشرح الكبير والإنصاف، وغير ذلك.

وتوفي الشيخ رحمه الله تعالى سنة (١٢٠٦هـ) رحمه الله رحمة واسعة، وأجزل

له الأجر والمثوبة، وجزاه خير ما يجزي به عباده الداعين إلى سبيله، إنه سميع مجيب.

التعريف بالتفسير:

قلت إن هذا التفسير مختصر لتفسير ابن القيم، وينبغي أن أؤكد هنا أن الشيخ لم

يكن في تلخيصه آلة صماء، يبتز النص بترًا، ويُرقع الجمل ترقيعًا، بل ظهرت

شخصيته العلمية، وبرزت معالم فكره، وما يؤيده وما لا يؤيده.

وقد يكون القصد في بعض المواضع الاختصار فحسب، وقد يظهر للمتمعن أن

القصد ليس الاختصار في مواضع أخرى، وذلك حين يحذف كلمة أو كلمتين بين

جمل متصلة، في هذه الكلمة أو الكلمتين اعترك العلماء، وتعددت الأقوال، فإيرادها أخذُ بقول وحذفها وحدها قد يكون رفضاً لهذا القول وبذا يظهر جانب من شخصية الشيخ العلمية.

هذا فضلاً عن زيادة في جملة، أو تغيير في عبارة، أو ربط بين جملة وأخرى. ولم يكن مرادي في تحقيق هذا التفسير المقارنة بين الأصل والمختصر، وإنما هو إخراج هذا التفسير وتوضيح بعض العبارات وزيادة البيان، مع الالتزام بأن لا يخرج عن الحد الذي رسمته، ولا يقصر عن الوفاء الذي أردته حسب جهدي وطاقتي، وأجزم بوقوع التقصير فأسأل الله الغفران.

وينبغي أن أوضح أيضاً أن الشيخ -رحمه الله تعالى- قد اختصر هذا المختصر وطُبع عدة مرات^(١).

أصول الكتاب:

بحثت في مكتبات كثيرة عن نسخ مخطوطة لهذا التفسير، وبعد بحث وتنقيب لم أعثر إلا على نسخة واحدة، أما بقية النسخ الواردة في فهرس بعض المكتبات فهي للتفسير المختصر لسورة الناس، وليست لهذا التفسير، وقد طبع هذا المختصر عدة مرات كما أشرت آنفاً، أما هذا التفسير فلم أجده مطبوعاً من قبل.

ولأجل التحقق من صحة النسخة المخطوطة وسلامتها من التصحيف أو التحريف، قمت بمقابلتها على النسخ المطبوعة لتفسير سورة الناس لابن القيم رحمه الله تعالى ضمن (تفسير المعوذتين)، وقد طُبع عدة مرات،

(١) طبع في:

١- «الدرر السنينة»، (١٠ / ٢٠٠).

٢- «روضة الأفكار»، الطبعة الهندية (١ / ٣١١، ٣١٢) المكتبة الأهلية (١ / ٢٨٣، ٢٨٤).

٣- «تاريخ نجد» لابن غنام، حرره وحققه ناصر الدين الأسد (ص ٦٨١، ٦٨٢).

٤- مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب (٤ / ٣٨٧ - ٣٨٩).

انظر: «آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب»، د. أحمد الضبيب (ص ١٤٧).

وقابلتها على خمس طبعات لهذا التفسير هي :

١- «تفسير المعوذتين» لابن القيم ضمن كتابه «بدائع الفوائد» في إدارة الطباعة المنيرية وذلك في (الجزء الثاني من ص ٢٤٧ إلى ص ٢٧٦).

٢- أيضًا ضمن «التفسير القيم» جمعه محمد أويس الندوي، حققه محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ.

٣- «تفسير المعوذتين» لابن القيم، تحقيق وتعليق مصطفى بن العدوي، مكتبة الصديق الطائف - الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٤- «تفسير المعوذتين» لابن القيم، تصحيح عبد الصمد شرف الدين، الطبعة الثالثة ١٣٧٥هـ الدار القيمة - الهند.

٥- «تفسير المعوذتين» لابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية بيروت.

ومعلوم أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- اختصر هذا التفسير، من تفسير ابن القيم -رحمه الله تعالى- والتزم في أغلب المواضع بعبارة ابن القيم -رحمه الله تعالى-، ولا يخالف هذا ما قلته في التعريف بظهور الشخصية العلمية للشيخ في اختصاره، فهو مع احتفاظه -رحمه الله تعالى- بالعبارة إلا أنه يحذف من العبارة ما لا يراه ويثبت ما يؤيده وقد يزيد كلمة أو يُعَيِّرُ في عبارة كما أشرت مما يكفل إبراز رأيه في التفسير.

وبهذا يظهر أن مقابلة المخطوطة على هذه الطبعات لتفسير ابن القيم مفيد جدًا وهذا ما حصل.

بل فوق هذا فقد استفدت من المخطوطة في مواضع من المطبوع، إذ يظهر أن الشيخ -رحمه الله تعالى- قد لخص تفسيره من مخطوطة لم يطلع عليها أحد ممن قام بطبع تفسير ابن القيم وفيها اختلاف في بعض المواضع يفيد في تحقيق «تفسير المعوذتين» لابن القيم.

أما النسخة المخطوطة لهذا التفسير فقد صورتها من مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية وهي برقم (٢٣٢٠) وهي مصورة عن المتحف العراقي كما كتب بخط اليد وتقع في خمس صفحات، في كل صفحة نحو ثلاثة وثلاثين سطراً، كما أنه يوجد نسخة لتفسير سورة الإخلاص ومعها تفسير المعوذتين في مكتبة الآثار العامة - ببغداد رقم (٣٥١٧٩)، ونسخة أخرى في خزائن مكتبة الأوقاف ببغداد برقم (٣٢٧٩) بعنوان (تفسير سورة الإخلاص، والفلق، والناس).

وقد طلبت تصويرهما عن طريق مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، وقد بادر المركز بإرسال طلب التصوير قبل سنتين ولم يتيسر ذلك، حتى الساعة، علماً أنني لا أعرف أي التفسيرين فيهما التفسير المختصر أو التفسير المطول للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وحين عازمت على السفر إلى العراق للاطلاع على هاتين النسختين وقع الغزو العراقي للكويت وتعذر السفر، فرج الله عن المسلمين كربتهم وجنبهم الفتن ما ظهر منها وما بطن.

ولذا فقد اكتفيت بما عثرت عليه، وقابلته على المطبوع، ورأيت فيه الكفاية وزيادة فلم تلتبس عليّ كلمة، ولم تُشكل عليّ عبارة بحمد الله وفضله وله المنة والحمد. وليس السفر للاطلاع على المخطوطتين فحسب إذ هذا مما لا تستدعيه ضرورة بل مما يستغنى عنه كما أشرت، ولكنه للاطلاع والبحث عن مخطوطات أخرى قد تكون موجودة هناك - لمؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب في التفسير - وما دام الأمر كذلك فلا ضير أن بادرت إلى إخراج هذا التفسير، وأجلت السفر إلى حين آخر، إن شاء الله تعالى.

هذا وأسأل الله ﷻ أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يغفر لي ما شابه من نقص أو قصور، إنه سميع مجيب، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي

الزلفي ٢٣/١/١٤١١هـ

عبادة مغموت عن الله وعدي بآراءه الثالث حسد النبط وهو يخفى ان يكون له مثل حال الحسد من عزه ان تزول عنه هذه
 لا يابس بل ولذباب صاهبه لهذا ريب من المنافة كما قال شاعرنا في ذلنا ليس في المنافة من ذل في عينه عريته حطة غيره لم قال
 لا حسد الا في اثنين رجل تاه الله مالا وسلطه على عسكره في الحق ورجل تاه الله لكونه فهو يقض لها ويعلل الناس حقد حسد عظم
 العامل بما حبه عليه حب خصال الكثير والنسبه باهلها وان يتولى في جملتهم فيجرت له المنافة ثم انما مع قوته ان يبطه يخ
 دولم مخترعة علم فخر لا يدخل في الايز بوجوه من بوزة السيدة من كبر وديان الحسد ذمام فما تنسج التوكيل تباسته والتواخي بالاول
 ستاذة بر من شرا سدا النمر والله سبحانه اعلم **واصا سورة الناس** فقد قلنت ايضا مستأذير دستر دستر
 مستعير فاما المستأذير فهو الله ربه الناس ملك الناس اهل الناس فذكر ببيت الله الناس وصفا اياهم والخبيرة تجوز ربه من صافية
 في ذكر ذلك في الاستعاذة من الشيطان فاصا فيهم في الكثرة الاولى الى ربوبيته الخشنة فلهذا بهم وترتهم وتبديهم وانصحتهم
 وحق ظلمهم من بفسدهم هذا معنى ربوبيته لهم وذلك يتضمن قدرته التامة درجة الواسعة على بغايل خلقه والحاوية
 دوماهم وكشف كرباتهم واصا فيهم في الكلمة الثانية الى ملكه فهو ملكهم الحق الذي ابرمهم في المشايد والمواب ولا صلاح لهم
 وللقيام الابر واصا فيهم في الكلمة الثالثة الى الهيبه فهو الهيب لهم ومعهم الذي لا اله سواه ولا معبود لهم غيره كما ان
 هو ربه وملكهم ملكهم لم يشاكره في ربوبيته ولا في ملكه احد فكذلك هو وحده الهيب ومعهم ولا يشعرون ان يجعلوا معه
 شريكا في الهيبه كما لا مع شريك في ربوبيته وملكه وهذه طريقتا القرآن يتخج عليهم باقرهم لهذا التوجه على ما لم يكن من زوجة
 والعبادة فاذا كان من بنا وليك فلا مفرغ لنا في المشايد سواه والاسمى لنا الهيب ولا معبود لنا غيره فلا يطيع ان يردى ولا يخاف
 ولا يرحى ولا يجب سواه ولا يذل غيره ولا يخضع سواه ولا يتوكل الا عليه لان من تزوجه وتخافه وتعوها فان يكون من يركن
 القيم بامر كذا ركب فلا ذل ولا سواه وتكون مملوكه وعبدك تخج في ملك الناس حقا كما هم عبده وما ليه او يركن معه وكونه
 الفلك الذي لا يستغني عن طرفه من بل حاجتك الباعظ من حاجتك لروحك وحياك وهو الاله الحق له الناس الذي لا اله سواه
 منهم جديرون ان لا يستعذوا والغيره ولا يستعصموا بسواه فكل من حناسته هذه الا صفات ثلاث للاستعاذة من عند العبد
 واعلمهم عدوة مما انما نرى في الاسم الظاهر ولم يوقع الضمير فعه فيقول رب الناس ملكهم والهيب تحقيا فخذ الخضا غاد ذكرهم
 عند كل اسم من اسمائه ولم يصفط بالاولى لما في من الايالك بالغايرة وندم الربوبية لهم وما وشبهوا كمال منسوب في الخشنة
 لخصوصها لان سواها من انما هو اله من عبده وودحه واتخذ العبادون غيره فمن لم يعبد به يوهك فليس باله وان كبره فينفتر
 لاله له سواه ولكن ترك اله الحق واتخذوا غيرا وسعت صفة الملك بين الربوبية والاعلان الملك هو المسترف بتواضعه
 المطاع ان امر فملكه لهم تابع لخلقها باهم ففكرهم من كل الربوبية وكونه الهيب تحق من كمال ملكه في ربوبيته يستلزم ملكه ملكه
 يستلزم الهيبه فهو الرب الملك الاله خلائم بالربوبية وترجم بانك واستعبدتهم بالالهيب تحق من كمال ملكه في ربوبيته
 تضمنت هذه الاقفا الثلاثة على اربع نظام وحسن سباق رب الناس ملك الناس وقد استقلت هذه الاقفا في الملا
 على جميع قواعد الايمان وتضمنت معنى جميع اسماء الهيب اما تضمها معاني اسماء الهيب فان الرب هو الفاعل والحق انما هو المفعول
 لكي القويوم العليم السميع البصير المحسن المنعم الجواد المعطي انا نافع الصانع المقتدر الموقر القويوم القويوم القويوم القويوم
 عز ذلك من معاني الربوبية واسم الملك هو الاموالناهي المنزلة الذي يبره في امور عباده كما يجب ويطلبهم كجانبه وهو العزيز
 الجبار المتكبر كما في الاقفا المعرف لهذا العظيم الجليل الوالي المتعالي الملك المعسط الجامع الى غير ذلك من الاسماء العارضة الى الملك
 ولما الاله فهو الجامع لصفات الكمال ومغوت الجلال فيدخل في هذا الاسم جميع الاسماء الحسنه والهدى كالقوة التي لا تخفى الله صلته كانه
 وانما اسم الله تعلقه الجامع لجميع معاني الاسماء الحسنه والصفات العليا واسم كلام الله اجن اعظم من ان تدر كها عنق البشره فاغايرة
 ولي تعلم الاستدلال بما يظهر من اعلى ما رواه وهو **سورة** مشتملة على الاستعاذة من الشر الذي هو سبب الذنوب والمعاصي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وأما سورة الناس (١).

فقد تضمنت أيضًا: (٢).

مستعاضًا به.

ومستعاضًا منه.

(١) هذه السورة من المعوذات. وقد ورد في فضلها أحاديث منها: (حديث عائشة) رضي الله عنها «أن رسول الله ﷺ كان إذا أشتكى، يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها». رواه البخاري (١٠٥/٦، ١٠٦).
(حديث عائشة) رضي الله عنها «أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من حسده يفعل ذلك ثلاث مرات. رواه البخاري (١٠٦/٦).

(وحديث عقبه بن عامر) رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم تر آيات الليلة لم ير مثلهن قط؟ قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس» رواه مسلم (٥٥٨/١).

(وتأمل) أن الاستعاذة هنا لا بد من سبقها ب(قل) فإن قلت المناسب أن يتعوذ المتعوذ ب ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ من غير لفظ قل (قلت) إن المقصود أن يجمع المتعوذ بين القرآن والاستعاذة، فإذا حذف لفظ قل، فإنما هي استعاذة وبالآيتين بها تكون قرآنًا واستعاذة فالمقصود التعوذ بالسورتين المذكور فيهما الاستعاذة من حيث أنهما كلام الله المجيد والسورة هي مجموع ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ إلى تمام السورة وبدون ﴿قُلْ﴾ بعض السورة وليس الغرض التكلم بهذه الكلمات فربما لا تنفع لو غير النظم القرآني مع أنه تكلم بجميع تلك الكلمات. والله أعلم.

انظر: «جامع البيان في تفسير القرآن» للأيجي (٤٤٥/٢، ٤٤٦).

(٢) أي كما تضمنت ذلك سورة الفلق التي سبق للشيخ أن فسرها.

ومستعيذاً. (١) (٢)

فأما المستعاذ به فهو: الله (رب الناس، ملك الناس، إله الناس) فذكر ربوبيته للناس، وملكه إياهم، وإلهيته لهم^(٣). ولا بد من مناسبة في ذكر ذلك في الاستعاذة من الشيطان^(٤).

(١) ذكر ابن القيم -رحمه الله تعالى- أن هذه السورة تضمنت أيضاً استعاذة ومستعاذاً به ومستعاذاً منه. «تفسير المعوذتين» ابن القيم. أما الشيخ -رحمه الله تعالى- فاستبدل بالاستعاذة المستعيذاً.

ويظهر لي - والله أعلم أن الاستعاذة أظهر وأصح.

(٢) في المخطوطة (مستعاذ به، ومستعاذ منه، ومستعيذاً) وهو لحن فصحته.

(٣) قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- في تفسيره للفاتحة: «فذكر في أول هذه السورة التي هي أول المصحف (الألوهية) و(الربوبية) و(الملك) كما ذكر في آخر سورة في المصحف ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾، فهذه ثلاث أوصاف لربنا تبارك وتعالى ذكرها مجموعة في موضع واحد في أول القرآن، ثم ذكرها مجموعة في موضع واحد في آخر ما يطرق سمعك من القرآن فينبغي لمن نصح نفسه أن يعتني بهذا الموضع ويبدل جهده في البحث عنه ويعلم أن العليم الخبير لم يجمع بينهما في أول القرآن ثم في آخر القرآن إلا لما يعلم من شدة حاجة العباد إلى معرفتها ومعرفة الفرق بين هذه الصفات فكل صفة لها معنى غير معنى الصفة الأخرى» «تفسير سورة الفاتحة» (٤٣، ٤٤).

(قلت): ويؤكد هذا المعنى أن الله -عز شأنه- جمع هذه المعاني الثلاثة في مواضع من القرآن منها قوله سبحانه: ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦]. وقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَن تَصْرِفُونَ﴾ [الزمر: ٦] ولعله في هذا الجمع يكمن معنى التوحيد والله أعلم.

(٤) كما قرر المؤلف -رحمه الله تعالى- في الدعاء أن الله سبحانه (يسأل لكل مطلوب باسم يناسبه) «تفسير سورة الفلق» (ص: ١٩)، أي بنحو يا رزاق ارزقني يا هادي أهديني. . كما يقرر ذلك قرر هنا أن الاستعاذة أيضاً لا بد من المناسبة فيها بين الاسم المستعاذ به وبين المستعاذ منه وقد قال ابن القيم -رحمه الله تعالى-: «ولا بد من أن يكون ما وصف به نفسه في هاتين السورتين (الفلق والناس) يناسب الاستعاذة المطلوبة ويقضي دفع الشر المستعاذ منه أعظم مناسبة وأبينها». ثم قال: «فلا بد أن يكون الاسم المستعاذ به مقتضياً للمطلوب وهو دفع الشر المستعاذ منه أو رفعه» «تفسير المعوذتين» ابن القيم (ص: ٢٣).

فأضافهم^(١) في الكلمة الأولى^(٢) إلى ربوبيته^(٣)، المتضمنة خلقهم، وتربيتهم، وتديبيرهم، وإصلاحهم، وحفظهم مما^(٤) يفسدهم، وهذا معنى ربوبيته لهم، وذلك يتضمن^(٥) قدرته التامة، ورحمته الواسعة، وعلمه بتفاصيل أحوالهم، وإجابة^(٦) دعواتهم، وكشف كرباتهم^(٧).

وأضافهم في الكلمة الثانية^(٨) إلى ملكه، فهو ملكهم الحق الذي إليه مفرعهم في^(٩) الشدائد والنوائب^(١٠) فلا صلاح لهم، ولا قيام إلا به.

وأضافهم في الكلمة الثالثة^(١١) إلى إلهيته^(١٢) فهو إلههم الحق، ومعبودهم الذي

(١) هذا بيان للمناسبة بين الاسم المستعاذ به والأمر المستعاذ منه المطلوب دفعه وهو الوسواس كما سيأتي.

(٢) أي قوله سبحانه (رب الناس).

(٣) قال ابن تيمية -رحمه الله تعالى- «الرب هو المربي الخالق الرزاق الناصر الهادي» «مجموع الفتاوى» (١٣/١٤).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن «توحيد الربوبية هو العلم والإقرار بأن الله تعالى رب ل شيء ومليكه وهو المدير لأمر خلقه جميعهم» «بضع رسائل» (ص ٨٤).

(٤) في المخطوطة لمن والصواب كما جاء في تفسير ابن القيم -رحمه الله تعالى- (مما).

(٥) انظر: «مجموع فتاوى ابن تيمية» لابن قاسم (٣/١١٢).

(٦) في المخطوطة (وإجابة) والصواب ما أثبتته من تفسير ابن القيم.

(٧) ووجه تضمن الربوبية لذلك أن الربوبية وهي الخلق والرزق والهداية والتربية والتديبير والإصلاح وغير ذلك يقتضي كل منها أمراً فالخلق يقتضي القدرة والتربية والتديبير يقتضيان الرحمة والعلم بالأحوال وإجابة الدعوة وكشف الكربة وهكذا وبذا تتحقق الربوبية.

(٨) أي قوله سبحانه: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾.

(٩) في تفسير ابن القيم (عند الشدائد) ولا فرق يذكر فأبقيت نص المخطوطة.

(١٠) الهمز في سائر المخطوطة في نحو هذه الكلمات يكون بالياء نحو الشدايد والنواب، وكتبته بالهمز دون الإشارة إلى ذلك فيما بعد.

(١١) أي قوله سبحانه: ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾.

(١٢) قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- في «تفسير الفاتحة» (ص ٤٢) [الإله أي:

المعبود لقوله تعالى ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣]. أي المعبود في السموات

والمعبود في الأرض] اهـ.

= وتوحيد الألوهية هو إفراد الله تعالى بالعبادة ويسمى هذا النوع من التوحيد (توحيد العبادة) وهو توحيد الله بفعل العبد وتوحيد الربوبية توحيد الله بفعله.

والعلاقة بين توحيد الألوهية أن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية، وأن توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية. وبيان ذلك أن الإقرار بالربوبية وأن الله هو الخالق الرزاق المدبر يوجب عبادته وحده لا شريك له وهذا هو توحيد الألوهية.

ومن عبد الله وحده ولم يشرك معه أحدًا فلا بد أن يكون قد اعتقد أنه خالقه ورازقه ومدبره ومربية وهادية، وهذا هو توحيد الربوبية. والربوبية والألوهية إذا ذكرا معًا افترقا في المعنى فلكل واحد منها معناه الخاص الذي اشرنا إليه آنفًا.

وقد تطلق الربوبية ويراد بها الألوهية في نحو قوله تعالى ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠].

أي إلهنا الله ونحو قوله تعالى ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ آبِي رَبًّا﴾ [الأنعام: ١٦٤].

أي إلهًا. ونحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ [فصلت: ٣٠] أي إلهنا الله.

وتوحيد الألوهية هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل لأن التوحيد الربوبية يقر به الناس كلهم مسلمهم وكافرهم، إلا من شذ كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

وينبغي أن أبين هنا أن طائفة من علماء الكلام والصوفية أخطأت في تعريف التوحيد الذي بينه القرآن ودعت إليه الرسل فزعموا أن التوحيد هو الإقرار بأن الله هو الخالق المدبر، ومن أقر بذلك صار عندهم مسلمًا وقالوا إن التوحيد هو الإقرار بوجود الله وأنه الخالق الرزاق. . إلخ، ثم يوردون أدلة توحيد الربوبية. قال ابن تيمية -رحمه الله تعالى- عن هؤلاء «ومعلوم أن هذا هو تحقيق ما أقر به المشركون من التوحيد، ولا يصير الرجل بمجرد هذا التوحيد مسلمًا، فضلًا عن أن يكن وليًا لله، أو من سادات الأولياء.

وطائفة من أهل التصوف والمعرفة يقررون هذا التوحيد مع إثبات الصفات فيفنون في توحيد الربوبية مع إثبات الخالق للعالم المباين لمخلوقاته، وآخرون يضمنون هذا إلى نفي الصفات فيدخلون في التعطيل مع هذا، وهذا شر من حال كثير المشركين». إلى أن قال -رحمه الله تعالى- «فإقرار المشرك بأن الله رب كل شيء، ومليكه، وخالقه، لا ينجيه من عذاب الله إن لم يقر به إقراره بأنه لا إله إلا الله فلا يستحق العادة أحد إلا هو وأن محمدًا رسول الله فيجب تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر» اهـ.

جموع الفتاوى (٣/١٠٢ - ١٠٥).

وقد أطلت الحديث في هذه المسألة لأهميتها في جانب العقيدة الحق فيها عن كثير من الناس، =

لا إله لهم^(١) سواه، ولا معبود لهم غيره، فكما أنه وحده هو ربهم ومليكمهم لم يشاركه^(٢) في ربوبيته ولا في ملكه أحد، فكذلك^(٣) هو وحده إلههم ومعبودهم فلا ينبغي أن يجعلوا معه شريكاً في إلهيته، كما لا شريك معه^(٤) في ربوبيته وملكه. وهذه طريقة القرآن يحتج^(٥) عليهم بإقرارهم^(٦) بهذا التوحيد على ما أنكروه من توحيد الإلهية والعبادة.

فإذا كان هو ربنا ومليكننا^(٧) فلا مفرغ لنا في الشدائد سواه، ولا ملجأ لنا منه إلا

= ومع هذا فاتصالها بسورة الناس ظاهر في آيتين منها ﴿بِرَبِّ النَّاسِ﴾ و﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ وانظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (٣٦/١، ٣٧) و«الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد» د. صالح الفوزان (ص ٢٣-٢٥).

(١) في المخطوطة (لا إله سواه) وأثبت ما في تفسير ابن القيم لقوله بعد (ولا معبود لهم غيره).

(٢) في تفسير ابن القيم (لم يشركه).

(٣) إشارة إلى أن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية.

(٤) في المخطوطة (كما لا معه شريك) وأثبت ما في تفسير ابن القيم.

(٥) لم يظهر لي احتجاج في قلوبهم تعالى ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ وإنما الاحتجاج ورد في قول المفسر أنفاً (فكما أنه وحده هو ربهم. . . فكذلك هو وحده إلههم ومعبودهم) إلا أن كان يقصد الوجه الذي ذكره في ترتيب الصفات الثلاث الربوبية، الملك، الألوهية، واستلزم الربوبية للملك واستلزام الملك للألوهية. كما سيأتي بيانه.

والطريقة التي يشير إليها هي قياس التمثيل وهي أحد أساليب الاستدلال في القرآن وذلك بأن يقيس الأمر الذي يدعيه على أمر معروف عند من يخاطبه أو يقر به نحو قوله تعالى ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَبَسَى خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٨-٧٩]. انظر: «مناهج الجدل في القرآن» د. زاهر الألمعي (ص: ٧٢).

(٦) قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه اله تعالى- في تفسير كلمة التوحيد مبيناً وجه إقرار المشركين بتوحيد الربوبية: «أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ وقتلهم ونهب أموالهم واستحل نساءهم كانوا مقرين لله سبحانه بتوحيد الربوبية. وهو أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحيى ولا يميت ولا يدبر الأمور إلا الله وحده كما قال تعالى ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يَدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١]. مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب: القسم الأول (ص ٣٦٥).

(٧) في تفسير ابن القيم (وملكنا) ويشهد لما في المخطوطة قوله قبل أسطر: (فكما أنه وحده هو ربهم ومليكمهم).

إليه، ولا معبود لنا غيره، فلا ينبغي أن يدعى ولا يخاف، ولا يرجى ولا يحب سواه، ولا يذل لغيره، ولا يخضع لسواه، ولا يتوكل إلا عليه^(١)، لأن من ترجوه وتخافه وتدعوه إما أن يكون مريبك والقيّم بأمرورك فهو^(٢) ربك فلا رب لك سواه^(٣) أو تكون مملوكه وعبدك الحق، فهو ملك الناس حقاً وكلهم عبيده ومماليكه، أو يكون معبودك وإلهك الذي لا تستغني عنه طرفة عين، بل حاجتك إليه أعظم من حاجتك إلى روحك وحياتك^(٤) وهو الإله الحق إله الناس الذي لا إله لهم سواه، فهم جديرون أن لا يستعينوا بغيره ولا يستنصروا بسواه، فظهرت مناسبة هذه الإضافات الثلاث للاستعاذة من أعدى الأعداء^(٥) وأعظمهم عداوة.

ثم إن الله سبحانه كرّر الاسم الظاهر^(٦)، ولم يوقع المضمّر موقعه^(٧)، فيقول: رب الناس، وملكهم، وإلههم، تحقيقاً لهذا المعنى^(٨)، فأعاد ذكرهم

(١) هذه الأمور التي ذكرها من أنواع العبادة التي لا يجوز صرفها لغير الله تعالى ومن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر ودليل الدعاء ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

ودليل الخوف قوله تعالى ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُواْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]. ودليل الرجاء قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

ودليل المحبة قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] ودليل الرغبة والرغبة والخشوع في قوله تعالى ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] ودليل التوكل قوله تعالى ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

(٢) في تفسير ابن القيم (وهو ربك).

(٣) في تفسير ابن القيم (فلا رب سواه).

(٤) في تفسير ابن القيم (حياتك وروحك).

(٥) في المخطوطة (أعداء العدو) وهو خطأ فأثبت ما في تفسير ابن القيم.

(٦) أي (الناس) في قوله تعالى ﴿رَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ﴾.

(٧) في المخطوطة (وقعه) وهو خطأ فأثبت ما في تفسير ابن القيم.

(٨) أي المناسبة التي بينها للإضافات الثلاث.

عند كل اسم من أسمائه^(١).

ولم يعطف بالواو لما فيها من الإيذان بالمغايرة^(٢).

(١) الإظهار في موضع الإضمار هنا في قوله تعالى ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ ﴿إِلَهُ النَّاسِ﴾ ولم يقل ملكهم، وإلهم، وقيل في تعليل ذلك أن قوله تعالى ﴿بِرَبِّ النَّاسِ﴾ قد يقال لغيره تعالى رب، كما جاء في قوله سبحانه ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]. وقول يوسف (عليه) لصاحبه في السجن ﴿أَذْكُرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢] وقوله ﴿أَرْجِعْ إِلَيَّ رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَأْسَ اللَّيْسَةِ﴾ الآية. [يوسف: ٥٠] فلما كان هذا الوصف محتملاً لغيره بينه بقوله ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾، ولما كان الملك قد يكون إلهاً وقد لا يكون بينه بقوله ﴿إِلَهُ النَّاسِ﴾ فإنه خاص به سبحانه فجعله غاية للبيان وعلى هذا فقوله ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ ﴿إِلَهُ النَّاسِ﴾ عطف بيان وعطف البيان للبيان فكان مظنة الإظهار دون الإضمار. انظر: «الكشاف» للزمخشري (٤/٢٤٥)، و«البحر لمحيط» لابن حيان (٨/٥٣١، ٥٣٢) وقال الرازي في «تفسيره» (٣٢/١٩٨): (ولأن هذا التكرير يقتضي مزيد شرف الناس لأنه سبحانه كأنه عرف ذاته بكونه ربا للناس، ملكاً للناس، إلهاً للناس، ولولا أن الناس اشرف مخلوقاته وإلا لما ختم كتابه بتعريف ذاته بكونه رباً وملكاً وإلهاً لهم) اهـ.

(تنبيه: في تفسير الرازي وردت (أشر مخلوقاته) وهو خطأ مطبعي تصححه عبارة للرازي نفسه قبلها بأسطر). وقال أبو السعود في «تفسيره» (٩/٢١٦): (وتكرير المضاف إليه لمزيد الكشف والتقريب والتشريف بالإضافة) والله أعلم.

(قلت): ويظهر لي والله أعلم أن المستعاذ به هو (رب الناس) وإن (ملك الناس إله الناس) صفتان لرب الناس. كما قال أبو حيان: (والظاهر أن ملك الناس إله الناس صفتان). «البحر المحيط» (٨/٥٣١)، وقال ابن هشام (ومن الوهم قول الزمخشري في (ملك الناس إله الناس) إنهما عطفان بيان والصواب أنهما نعتان). «مغني اللبيب» (٢/٥٧٠).

(٢) بل قال القزويني «إن العطف يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه». «الإيضاح» (ص ١٥٣) وقال الزركشي في البرهان (٤/١١٣): «الأصل في العطف التغاير، وقد يعطف الشيء على نفسه في مقام التأكيد».

ولابن القيم -رحمه الله تعالى- تفصيل في عطف الصفات حيث قال «إن الصفات إذا ذكرت في مقام التعداد فتارة يتوسط بينها حرف العطف لتغايرها في نفسها، وللايذان بأن المراد ذكر كل صفة بمفردها، وتارة لا يتوسطها العاطف لاتحاد موصوفها وتلازمها في نفسها، وللايذان بأنها في تلازمها كالصفة الواحدة، وتارة يتوسط العاطف بين بعضها ويحذف مع بعض بحسب هذين المقامين، فإذا كان المقام تعدد الصفات من غير نظر إلى جمع أو انفراد حسن إسقاط =

وقدّم الربوبية لعمومها وشمولها لكل مربوب، وأخر الإلهية لخصوصها؛ لأنه سبحانه إنما هو إله مَنْ عَبْدَهُ، وَوَحَدَهُ، وَاتَّخَذَهُ إِلَهًا دُونَ غَيْرِهِ^(١)، فمن لم يعبده ويوحده فليس بإلهه^(٢) وإن كان في الحقيقة لا إله له سواه ولكن المشرك ترك^(٣) إلهه الحق واتخذ إلهًا غيره^(٤).

ووسط صفة المُلْك بين الربوبية والألوهية لأن المَلِك هو المتصرف بقوله وأمره، المطاع إذا أمر، فملكه^(٥) لهم تابع لخلقه إياهم، فملكهم^(٦) من كمال ربوبيته، وكونه إلههم الحق من كمال مُلكه، فربوبيته تستلزم ملكه، وملكه يستلزم إلهيته، فهو الرب، الملك، الإله. خلقهم بالربوبية^(٧) وقهرهم بالملك^(٨) واستعبدهم بالإلهية^(٩) (١٠).

= حرف العطف، وأن أريد الجمع بين الصفات أو التنبيه على تغييرها حسن إدخال حرف العطف ثم ذكر أمثلة لذلك إلى أم قال: «وكلما كان التغيرات أبين كان العطف أحسن» اهـ. دائع الفوائد» (٥٢/٣، ٥٣)، وانظر: ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- «مجموع الفتاوى» (١٧٢/٧).

(١) في تفسير ابن القيم (واتخذته دون غيره إلهًا).
(٢) الأولى أن يقول: (فمن لم يعبده ويوحده فلم يتخذ إلهًا) لأنه سبحانه إله الناس من عبده ومن لم يعبده لكن من لم يعبد إلهًا وإن كان سبحانه إلهه لا إله له سواه. . كما يقول المؤلف بعد ذلك.

(٣) في المخطوطة (ولكن ترك) وزدت كلمة (المشرك) من تفسير ابن القيم.
(٤) كما قال تعالى عن قوم هود (عليه) ﴿قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا﴾ [هود: ٥٣]. وقولهم: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْرَبْنَاكَ بِعُضِّ آلِهَتِنَا يَسُوءٌ﴾ [هود: ٥٤].
وقول قوم إبراهيم (عليه) ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا﴾ [الأنبياء: ٥٩].
وقول المشركين ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾ [الفرقان: ٤٢]، وغير ذلك كثير.

(٥) في تفسير ابن القيم (وملكه).
(٦) في تفسير ابن القيم (فملكه).
(٧) في تفسير ابن القيم (خلقهم بربوبيته).
(٨) في تفسير ابن القيم (وقهرهم بملكه).
(٩) في تفسير ابن القيم (واستعبدهم بإلهيته).
(١٠) وذكر أبو السود -رحمه الله تعالى- وجهًا بديعًا للاستعاذة في هذه السورة فقال: «فإن توسل =

فتأمل هذه الجلالة وهذه العظمة التي تضمنتها هذه الألفاظ الثلاثة على أبداع نظام وأحسن سياق^(١) (رب الناس، ملك الناس، إله الناس).

وقد اشتملت هذه الإضافات الثلاث على جميع قواعد الإيمان^(٢) وتضمنت معنى جميع^(٣) أسمائه الحسنی^(٤).
أما تضمنها لمعاني أسمائه الحسنی^(٥).

= في ضمن العائد بربه وانتسابه إليه تعالى بالربوبية والمملوكية والعبودية في ضمن جنس (يقصد الناس) هو فرد من أفراد من دواعي مزيد الرحمة والرأفة وأمره تعالى بذلك من دلائل الوعد الكريم بالإعازة لا محالة ولأن المستعاذ منه شر الشيطان المعروف بعدواتهم ففي التنصيص على انتظامهم في سلك عبوديته تعالى وملكوته رمز إلى إنجائهم من ملكة الشيطان وتسلطه عليهم حسبما ينطق به قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢]. «إرشاد العقل السلم» أبي السعود (٢١٦/٩).

(١) ذكر الإيجي -رحمه الله تعالى- وجهاً آخر لهذا الترتيب والنظام فقال «الترقي في صفات الكمال. فإن الملك أعلى من الرب. لأن كل ملك رب ومالك ولا ينعكس كلياً، ثم الإله الذي هو أعلى وخاص لله جعله غاية للبيان». «جامع البيان في تفسير القرآن» للإيجي (٤٤٥/٢).
(٢) لاشتمالها على (الربوبية) و(الملك) و(الألوهية).

(٣) في تفسير ابن القيم (وتضمنت معاني).

(٤) سيبين بعد ذلك وجه تضمن هذه الأسماء (الرب، الملك، الإله) للأسماء الحسنی.

(٥) في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة». رواه البخاري ومسلم (البخاري/ كتاب التوحيد (١٦٩/٨)، (مسلم/ كتاب الذكر والدعاء (ج... ص ٢٠٦٣ حديث: ٢٦٧٧)، ورواه الترمذي في «جامعه» كتاب الدعوات (٥/٥٣٠ حديث: ٣٥٠٧). وفيه زيادة سرد الأسماء وقال بعده هذا حديث غريب.. ولا نعلم في كثير من الروايات له إسناد صحيح ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث) اهـ. وقال ابن كثير في «تفسيره» (٢/٢٨٨، ٢٨٩): «والذي عول عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج فيه وإنما ذلك.. أنهم جمعوها من القرآن.. ثم ليعلم أن الأسماء الحسنی غير منحصرة في تسعة وتسعين». وقال ابن تيمية -رحمه الله تعالى- «إن التسعة والتسعين اسماً لم يرد في تعيينها حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٢/٤٨٢) وقال عن زيادة سرد الأسماء الواردة في روايتي الترمذي وابن ماجه «وقد اتفق أهل المعرفة بالحديث على أن هاتين الروايتين ليستا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وإنما كل منهما من كلام =

فإن الرب هو: ^(١) القادر، الخالق، البارئ، المصور، الحي، القيوم، العليم، السميع، البصير، المحسن ^(٢)، المنعم، الجواد، المعطي، المانع ^(٣)، النافع، الضار، المقدم، المؤخر ^(٤)، يهدي ويضل، ويسعد، ويشقى، ويعز، ويذل، إلى غير ذلك من المعاني الربوبية.

= بعض السلف» وقال «فإن الذي عليه جماهير المسلمين أن أسماء الله أكثر من تسعة وتسعين» وضرب -رحمه الله تعالى- مثلاً بقول القائل: «لأن لي مائة غلام أعددتهم للعتق وألف درهم أعددتها للحج» فالتقييد بالعدد هو في الموصوف بهذه الصفة لا في أصل استحقاقه لذلك العدد، فإنه لم يقل أن أسماء الله تسعة وتسعون» «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٦/٣٧٩-٣٨١) وإنما أطلت في هذه المسألة لاعتقاد بعض الناس حصر الأسماء الحسنی في العدد المذكور.

(١) هناك قواعد مهمة في أسماء الله الحسنی وصفاته العليا يحسن أن أشير إشارة موجزة لأهمها فمن ذلك:

أولاً: أن أسماء الله تعالى كلها حسنی لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها. ثانياً: أن ثبوت الاسم لله تعالى يستلزم ثبوت الصفة التي تضمنها ف«السميع» يتضمن إثبات السمع له تعالى و«الحي» يتضمن إثبات الحياة، وهكذا ولا يلزم من ثبوت الصفة لله تعالى ثبوت الاسم فمن صفاته سبحانه «المجيب» و«الأخذ» و«البطش» و«الإمساك» وغير ذلك ولا يلزم من ثبوتها أن نسميه بها فعدد من أسمائه «الجائي» و«الآخذ» و«الممسك» و«الباطش» وهذه قاعدة هامة.

ثالثاً: أن أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية لا مجال للعقل فيها فيجب الوقوف على ما جاء في الكتاب والسنة من غير زيادة ولا نقصان.

رابعاً: أن أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين كما أشرنا سابقاً. ولمزيد من التفصيل انظر كتاب «القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنی للشيخ محمد بن صالح العثيمين».

(٢) «المحسن» بناء على القواعد السابقة اختلف العلماء في عدده من أسماء الله تعالى فقد اتفقوا على أنه لم يرد في الكتاب، أما في السنة فقد رواه الطبراني في الأوسط، وقال الهيثمي رجاله ثقات، وقد تردد الشيخ محمد بن عثيمين في عدده من الأسماء وعلل لك بقوله: «لأننا لم نطلع على رواته في الطبراني وقد ذكره شيخ الإسلام من الأسماء» (ص١٦) «القواعد المثلى».

(٣) اسم «المانع» سقط من المخطوطة وأثبتته من تفسير ابن القيم لأن المؤلف ذكر ما يقابله وهو «المعطي».

(٤) المانع والنافع والضار والمقدم والمؤخر من الأسماء السبعة والعشرين التي استثناها ابن حجر -رحمه الله تعالى- في «الفتح» (١١/٢١٨، ٢١٩) من الأسماء التسعة والتسعين الواردة في =

وأما الملك: فهو الأمر، الناهي، المعز، المذل^(١) الذي يصرف أمور عباده كما يحب، ويقبلهم كما يشاء، فهو العزيز^(٢)، الجبار، المتكبر الحافظ^(٣)، الرافع، المعز، المذل، العظيم، الجليل، الوالي، المتعالي، الملك، المقسط، الجامع، إلى غير ذلك من الأسماء العائدة إلى الملك، وأما الإله: فهو الجامع لصفات الكمال، ونعوت الجلال، فيدخل في هذا الاسم جميع الأسماء الحسنی^(٤).

= الحديث وقال عنها: «لم تقع في القرآن بصيغة الاسم» ثم استبدل بها سبعة وعشرين اسمًا لیتم تسعة وتسعين اسمًا كلها من القرآن كما يقول -رحمه الله تعالى-.

«قالت» وعدم ورودها بالقرآن بصيغة الاسم لا يعني عدم كونها من أسماء الله تعالى فقد أورد الشيخ ابن عثيمين ثمانية عشر اسمًا لله تعالى تثبتت بالسنّة ومنها المقدم والمؤخر وأشار إلى ورودهما في البخاري ومسلم. «القواعد المثلى» (ص ١٦).

(١) لاحظ هناك أنه ذكر «يعز ويذل» من صفات الرب وعدها هنا من صفات الملك.
(٢) عند ابن القيم «وله من معنى الملك ما يستحقه من الأسماء الحسنی كالعزيز» إلخ ويظهر إن الشيخ رحمته اختصر عبارة ابن القيم رحمته بحذف هذه الجملة فأدى إلى تكرار في أسمى «المعز، المذل».

(٣) في المخطوطة (الحافظ) وفي تفسير ابن القيم «الخافض» وهو الصحيح لأنه ذكر بعده «الرافع» ولعل ما في المخطوطة تصحيف.

(٤) بين ابن القيم -رحمه الله تعالى- في «مدارج السالكين» (١/٣٢، ٣٣) وجه دلالة اسم «الله» على جميع الأسماء الحسنی وتضمنه لصفات الكمال فقال (فاسم «الله» دال على جميع الأسماء الحسنی والصفات العليا) ثم قال: «وصفات الإلهية: هي صفات الكمال المنزهة عن التشبيه والمثال، وعن العيوب والنقائص، ولهذا يضيف الله تعالى سائر الأسماء الحسنی إلى هذا الاسم العظيم كقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: ١٨٠] ويقال (الرحمن، والرحيم، والقدوس، والسلام، والعزیز والحكيم)، ومن أسماء الله، ولا يقال «الله» من أسماء «الرحمن» ولا من أسماء «العزیز» ونحو ذلك.

فعلم أن اسمه «الله» مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنی، دال عليها بالإجمال والأسماء الحسنی تفصيل وتبيين لصفات الإلهية التي اشتق منها اسم «الله» واسم «الله» دال على كونه مألوهًا معبودًا، تأله الخلاق محبة وتعظيمًا، وخضوعًا وفرغًا إليه في الحوائج والنوائب وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته، المتضمن لكمال الملك والحمد، وإلهيته وربوبيته ورحمانيته، وملكوته، مستلزم لجميع صفات كماله إذ يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بحي، ولا سمیع، ولا بصير، ولا قادر، ولا متكلم ولا فعال لما يريد، ولا حكيم في أفعاله.

ولهذا^(١) كان القول الصحيح أن الله: أصله الإله^(٢) وأن اسم الله تعالى هو: الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العليا^(٣)، وأسرار كلام الله أجل وأعظم من أن تدركها عقول البشر، وإنما أولي العلم الاستدلال بما يظهر^(٤) منها على ما وراءه^(٥).

وهذه السورة مشتملة على الاستعاذة من الشر^(٦) الذي هو سبب النوب

(١) أي لكون الإله جامع لصفات الكمال ولكونه أصل لاسم الله فإن اسم الله جامع لمعاني الأسماء الحسنى.

(٢) هذا قول سيبويه جمهور أصحابه كمال قال ابن القيم في «تفسير المعوذتين» (ص ٩٦)، ولم أجد هذا القول منسوباً لسيبويه عند غيره، وللعلماء أقوال كثيرة في أصل لفظ الجلالة (الله) قال الفيروزآبادي «القاموس المحيط» (ص ١٦٠٣) واختلف فيه على عشرين قولاً.
(قلت): اختلف العلماء في لفظ الجلالة.

ف قيل: إنه اسم حامد مرتجل لا يطلق إلا على المعبود بحق سبحانه، ورجحه الفيروزآبادي وقال ابن حبان في «تفسيره» (١/١٤) أنه عند الأكثرين وقال الرازي وهو قول الخليل وسيبويه وقول أكثر الأصوليين والفقهاء «تفسير الرازي» (١/١٥٦).

وقيل إنه اسم مشتق واختلفوا في مادة الاشتقاق:

ف قيل: من (ليه) من لاه يليه بمعنى ارتفع.

وقيل من (لوه) من لاه يلوه بمعنى احتجب واستتر.

وقيل من (أله) بمعنى فرع لأن الخلائق تفرع إليه عند الشدائد.

أو بمعنى تحير لأن الخلائق تأله في عظمته.

أو بمعنى عبد لأنه المعبود.

أو بمعنى سكن لأن الخلائق تسكن إليه والقلوب لا تسكن إلا بذكره.

وقيل من (أوله) وأصله وَلَهُ يُولُهُ وَلَهَا وَوَلَهُ ذَهَابُ الْعَقْلِ. قال القرطبي (١/١٠٢، ١٠٣)، فالله تعالى تتحير الأبواب وتذهب في حقائق صفاته والفكر في معرفته. انظر: «البحر المحيط» (١/١٤، ١٥) و«القاموس المحيط» (ص ١٦٠٣)، و«لسان العرب» (١٣/٤٦٩) و«الصحاح» للجوهري (٦/٢٢٢٤).

(٣) في تفسير ابن القيم (العلي).

(٤) في تفسير ابن القيم (بما ظهر).

(٥) أي الاستدلال بالمعاني الظاهرة على ما وراءها من الاستنباطات والنتائج واللوازم.

(٦) يعني الوسواس.

والمعاصي وهو الشر الداخِل في الإنسان الذ هو منشأ العقوبات في الدنيا والآخرة.

فسورة الفلق تضمنت الاستعاذة من ظلم الغير بالسحر والحسد وهو شر من خارج^(١).

وسورة الناس تضمنت الاستعاذة من الشر الذي هو سبب ظلم العبد نفسه وهو شر من داخل^(٢).

فالشر الأول لا يدخل تحت التكليف، ولا يطلب منه الكف عنه، لأنه ليس من كسبه. والشر الثاني الذي في سورة الناس يدخل تحت التكليف ويتعلق به النهي، فهذا شر المعائب، والأول شر المصائب، والشر كله يرجع إلى العيوب والمصائب ولا ثالث لهما.

فتضمنت سورة الناس الاستعاذة من شر العيوب كلها لأن^(٣) أصلها كلها الوسوسة^(٤).

(١) في المخطوطة (وهو شر خارج) والصواب ما أثبتته من تفسير ابن القيم.

(٢) الشر الذي يصيب الإنسان لا يخو من:

أن يكون بفعله وقصده وسعيه فيعاقب عليه وهو شر معائب وإما أن يكون من فعل غيره لا دخل له فيه وقد يكون الفاعل مكلفاً كالإنسي والجنى وقد لا يكون مكلفاً كالهوام والرياح والأمطار والصواعق والزلازل وغيرها وهو شر مصائب، وقد تضمنت هاتان السورتان (الفلق والناس) الاستعاذة من هذه الشرور كلها. فتضمنت سورة الفلق الاستعاذة من شر المخلوقات كلها وشر الغاسق، والنفاثات، والحاسد وهي كلها شر خارج.

وتضمنت سورة الناس الاستعاذة من الوسوسة وهي شر من داخل «والوسواس إنما يؤذي العبد من داخل بواسطة مساكنته له، وقبوله منه، ولهذا يعاقب العبد على الشر الذي يؤذيه به الشيطان من الوسواس التي تقترن بها الأفعال، والعزم الجازم، لأن ذلك بسعيه وإرادته بخلاف شر الحاسد والساحر فإنه لا يعاقب عليه إذ لا يضاف إلى كسبه ولا إرادته. ولهذا أفرد شر الشيطان في سورة وقرن بين شر الساحر والحاسد في سورة» «تفسير المعوذتين» لابن القيم (ص ٧٣).

(٣) في تفسير ابن القيم (التي).

(٤) وتضمنت سورة الفلق الاستعاذة من شر المصائب كلها لأنها لا تخرج عن الأمور الأربعة المستعاذ منها في السورة.

وأصل الوسوسة^(١) الحركة^(٢) أو الصوت الخفي الذي لا يحس^(٣) فيحترز منه .
فالوسواس^(٤) الإلقاء الخفي في النفس :
إما بصوت خفي لا يسمعه إلا من ألقى إليه .
وإما بغير صوت كما يوسوس الشيطان إلى العبد .

- (١) كلمة (وسوس) كلمة من حرفين مكررين ، نحو (زلزل) و(دكدك) و(قلقل) و(كبكب) و(ررضرض) و(صرصر) و(مطمط) و(كفكف) وغير ذلك كثير وإنما تطلق هذه الكلمات على ما يتكرر وقوعه . وهو مطابق للقاعدة اللغوية في الحذو بالألفاظ حذو المعاني فيتكرر في اللفظ ما يتكرر مسماه وعلى هذا فالوسوسة صوت خفي متكرر . انظر : «تفسير المعوذتين» لابن القيم (ص ٩٨) .
- (٢) لم أجد عرف الوسوسة بالحركة . وإنما عرفوها بحديث النفس ، وبهمس الصائد والكلاب ، وصوت الحلبي ، والصوت الخفي من ريح ، والكلام الخفي باختلاط . انظر : «لسان العرب» مادة (وسس) (٦/٢٥٤ ، ٢٥٥) و«الصحاح» للجوهري مادة (وسوس) (٣/٩٨٨) و«القاموس المحيط» مادة (الوس) (ص ٧٤٨) و«تاج العروس» مادة (الوس) (٤/٣٦٨) .
- (٣) لم أجد أحدًا من علماء اللغة وصفه بأنه لا يحس ولم يظهر لي وصف الصوت بأنه لا يحس فإذا كان لا يحس فكيف يكون صوتًا . ولعله يريد صوتًا لا يحسه غير الملقى إليه . كما سيأتي بعد .
- (٤) الوسوسة في الاصطلاح هي دعوة الشيطان لطاعته بكلام خفي يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع صوت . انظر : «تفسير القرطبي» (٢٠/٢٦٣) وقال ابن العماد : هي «إلقاء الشيطان الأمر في القلب من غير صوت» «إيقاظ الحواس» الأهدل (ص ٣٧) .
- والإمام الغزالي - رحمه الله تعالى - كلام نفيس في بيان ذلك خلاصته إن أخص الأثار الحاصلة في القلب هي الخواطر وهي إدراكه علومًا إما على سبيل التجدد وإما على سبيل التذكر فإنها تسمى خواطر من حيث إنها تخطر بعد أن كان القلب غافلًا عنها ، والخواطر المحركة للرغبة تنقسم إلى ما يدعو إلى الشر ، وإلى ما يدعو إلى الخير فهما خاطران مختلفان فالخاطر المحمود يسمى (إلهامًا) والخاطر المذموم يسمى (وسواسًا) وسبب الخاطر الداعي إلى الخير ملك وسبب الخاطر الداعي إلى الشر شيطان واللفظ الذي يتهيأ به القلب لقبول إلهام الخير يسمى توفيقًا والذي يتهيأ به لقبول وسواس الشيطان يسمى إغواء وخذلانًا فالقلب متجاذب بين الملك والشيطان كما جاء في الحديث . رواه الترمذي وقال حسن غريب (٥/٤٧ ، ٤٨) .
- إن للشيطان له ما بن آدم وللملك له ، فأما لمة الشيطان فإبعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما لمة الملك فإبعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قرأ (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) . انظر : «إحياء علوم الدين» للإمام الغزالي (٣/٢٦ ، ٢٧) .

و(الوسواس الخناس). وصفان لموصوف محذوف^(١). وهو الشيطان^(٢).

فالوسواس: الشيطان، لأنه كثير الوسوسة.

وأما (الخناس) فهو فعال من خنس يخنس. إذا توارى واختفى^(٣) فإن العبد إذا غفل عن ذكر الله جثم على قلبه الشيطان^(٤) وبذر فيه الوسواس التي هي أصل الذنوب كلها. فإذا ذكر العبد ربه واستعاذ به انخنس^(٥).

والانخناس: تأخر ورجوع^(٦) معه اختفاء. قال قتادة^(٧): الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب^(٨) في صدر الإنسان فإذا ذكر العبد ربه خنس^(٩).

(١) قال ابن هشام في شرحه «لألفية ابن مالك» (٣/٣١٨): (ويجوز بكثرة حذف المنعوت إن علم) وقال ابن القيم -رحمه الله تعالى- في تفسير هذه الآية «وحسن حذف الموصوف هاهنا غلبة الوصف حتى صار كالعلم عليه» «تفسير المعوذتين» ابن القيم (ص ١٠٣).

(٢) يشمل شياطين الإنس والجن.

(٣) قال ابن منظور: (خنس الرجل إذا توارى غاب) «لسان العرب» مادة (خنس) (٦/٧١).

(٤) قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ سَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦].

(٥) قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّعَ لَعَنَ أَذْبَاهُ تَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٦].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

(٦) ولا رجوع ولا اختفاء إلا بعد تقدم وظهور فالانخناس اختفاء بعد ظهور فهو يجمع أمرين الاختفاء والرجوع.

(٧) هو قتادة بن دعامة السدوسي تابعي من أئمة التفسير كان قوي الحافظة قال عنه ابن المسيب ما أتاني عراقي أحسن من قتادة وقال عنه أحمد بن حنبل (فلما تجد من تقدمه أما المثل فلعل) «وقال أبو عمرو بن العلاء» حسبك قتادة ولولا كلامه في القدر ما عدلت به أحداً من أهل دهره (ت سنة ١١٧هـ).

انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٤/٨٥، ٨٦) و«تهذيب التهذيب» لابن حجر (٨/٣٥١ - ٣٥٦).

(٨) الخرطوم هو الأنف. انظر: «لسان العرب» لابن منظور (١٢/١٧٣).

(٩) رواه القرطبي بلفظ (وقال قتادة: «الخناس» الشيطان له خرطوم كخرطوم الكلب في صدر الإنسان، فإذا غفل الإنسان وسوس له، وإذا ذكر العبد ربه خنس» اهـ. «الجامع لأحكام القرآن» القرطبي (٢٠/٢٦٢)، قال الإمام الغزالي: «فالتطارد بين ذكر الله تعالى وسوسة الشيطان كالتطارد بين النوم والظلام وبين الليل والنهار» «إحياء علوم الدين» (٣/٢٨).

ويقال^(١): رأسه كراس الحية، وهو واضع رأسه على ثمرة^(٢) القلب يمينه ويحدثه، فإذا ذكر الله خنس، وإذا لم يذكره عاد ووضع رأسه يوسوس إليه^(٣).
 وجيء بلفظ (الفعال) دون (الفاعل)^(٤) إعلامًا بشدة^(٥) هروبه ورجوعه وعظم نفوره عند ذكر الله تعالى وأن ذلك دأبه. فذكر الله يقمع الشيطان ويؤلمه ويؤذيه^(٦)، ولهذا كان شيطان المؤمن هزيلًا^(٧) لأنه يعذبه بذكر الله وطاعته وفي أثر

(١) قال الشبلي في كتابه (آكام المرجان): «قال أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان السجستاني . . حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا داود حدثنا فرج عن عروة بن رويم أن عيسى بن مريم دعا ربه أنه يريه موضع الشيطان من ابن آدم قال فخلا له فإذا برأسه مثل الحية واضع رأسه على ثمرة القلب فإذا ذكر الله خنس برأسه وإذا ترك الذكر مناه وحدثه». «آكام المرجان في أحكام الجان» (ص ١٦٣).

(٢) تطلق الثمرة ويراد بها طرف الشيء ومنه حديث ابن عباس رضي الله عنهما «أنه أخذ بثمرة لسانه» أي بطرفه وحديث «فأتى بسوط لم تقع ثمرته أي طرفه الذي يكون في أسفله. انظر: «النهاية في غريب الحديث» ابن الأثير (١/٢٢١). وقال أهل التأليف في خلق الإنسان عن القلب . . . وفيها السويداء وهي علقة سوداء إذا شق القلب بدت كقطعة كبد وهي حبة القلب» «التأليف في خلق الإنسان» د. وجيه السطل (ص ٢٩٧).

(٣) في الحديث عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فإن ذكر الله خنس، وإن نسي التقم فذلك الوسواس الخناس» قال ابن كثير: «غريب». «تفسير ابن كثير» (٤/٦١١).

وأخرج البخاري في «صحيحه» (٦/٩٦)، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال «الوسواس إذا ولد خنسه الشيطان فإذا ذكر الله صلى الله عليه وسلم ذهب وإذا لم يذكر الله ثبت على قلبه».

(٤) أي بلفظ (الخناس) دون الخانس . .

(٥) لو قال (إعلامًا بتكرار هروبه ورجوعه كلما ذكر الله ودأبه على ذلك) لكان أظهر كما سيأتي بيانه .

(٦) قال الله تعالى ﴿أَسْعَوْذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَهُمْ ذَكَرَ اللَّهُ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَيْرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩]. وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط، حتى لا يسمع التأذين فإذا قضي النداء أقبل . . . الحديث» رواه البخاري (١/١٥١)، ورواه مسلم (١/٢٩١).

(٧) قال ابن مسعود رضي الله عنه (شيطان المؤمن مهزول). انظر: «إحياء علوم الدين» الغزالي (٣/٣٢).

عن بعض السلف^(١) أن المؤمن ينضي^(٢) شيطانه كما ينضي الرجل بعيره في السفر، لأنه كلما اعترضه صب عليه سياط الذكر والتوجه والاستغفار والطاعة، فشيطانه معه في عذاب شديد.

وأما شيطان الفاجر فهو معه في راحة ودعة، ولهذا يكون قويًا عاتيًا شديدًا^(٣) فمن لم يعذب شيطانه في هذه الدار بذكر الله وتوحيده واستغفاره وطاعته عذبه شيطانه في الآخرة بعذاب النار، فلا بد لكل أحد أن يُعذب شيطانه أو يُعذبه شيطانه^(٤).

(١) بل رواه أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المؤمن لينضي شيطانه كما ينضي أحدكم بعيره في السفر» رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٧٥/١٧) بتحقيق أحمد شاكر، وقال «إسناده صحيح».

(٢) ينضي شيطانه يعني يهزله والنضو الدابة التي أهزلتها الأسفار. «النهاية في غريب الحديث» ابن الأثير (٧٢/٥).

(٣) مما يناسب هذا المقام ما جاء في كتاب الأحياء «قال أبو هريرة: التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر فإذا شيطان الكافر دهين سمين كاسي وشيطان المؤمن مهزول أشعث أغبر عار، فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن: ما لك مهزول؟ قال: أنا مع رجل إذا أكل سمى الله فأظل جائئًا وإذا شرب سمى الله فأظل عطشانًا، وإذا لبس سمى الله فأظل عريانًا، وإذا ادهن سمى الله فأظل شعئًا فقال: لكني مع رجل لا يفعل شيئًا من ذلك فأنا أشاركه في طعامه وشرابه ولباسه» «إحياء علوم الدين» الغزالي (٣٧/٣).

(قلت): فإذا أردت طرد الشيطان من قلبك فامنع عنه القوت وهو إتباع الهوى والشهوات ثم اقفه بقذائف الذكر فإنه يفر منك.

وينبغي أن يعلم أن الذكر المجرد قد لا ينفع في طرد الشيطان بل لا بد من التقوى كما بين ذلك الغزالي حيث قال: «وتأمل أن منتهى ذكرك وعبادتك الصلاة فراقب قلبك إذا كنت في صلاتك كيف يجاذبه الشيطان على الأسواق وحساب العالمين . . وكيف يمر بك في أودية الدنيا ومهالكها حتى أنك لا تذكر إلا إذا صليت . . فالصلاة لا تقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا . . فإن أردت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتماء بالتقوى ثم أردفه بدواء الذكر يفر الشيطان منك كما فر من عمر رضي الله عنه انتهى بتصريف من «إحياء علوم الدين» (٣٨/٣).

(٤) قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ =

وتأمل كيف جاء بناء الوسواس^(١) مكرراً لتكريره^(٢) الوسوسة الواحدة مراراً حتى يعزم عليها العبد.

وجاء بناء الخناس على وزن (الْفَعَال) الذي يتكرر منه نوع الفعل، لأنه كلما ذكر الله انخنس فإذا غفل العبد عاوده^(٣) بالوسوسة، فجاء بناء اللفظين مطابقاً لمعنيهما.

وقوله ﴿الَّذِي يُوسُّوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ صفة ثالثة للشيطان، فذكر وسوسته أولاً، ثم ذكر محلها ثانياً، وأنها في صدور الناس^(٤).

وقد جعل الله للشيطان دخولاً في جوف العبد ونفوداً إلى قلبه وصدوره فهو يجري منه مجرى الدم^(٥)، وقد وكل بالعبد فلا يفارقه إلى الممات^(٦) ومن وسوسته: أنه

= [فاطر: ٦]. وقال تعالى مخبراً إبليس لعنه الله ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٦﴾ ثُمَّ لَا يَبْقَاهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٦]، وقال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزْوَاجَهُمْ﴾ [مریم: ٨٣]. وأخرج البخاري في «صحيحه» (٢٣٦/٥)، قال ابن عيينة: تؤزهم أزواجرهم إلى المعاصي إزعاجاً.

(١) أي مكرراً من الواو والسين، وانظر ما جاء هامش (ص ٢٨).
(٢) في المخطوطة (لتكرره) وصحته من تفسير المعوذتين لابن القيم.
(٣) في المخطوطة (عاد) وأثبت ما في تفسير المعوذتين لابن القيم.
(٤) ذكر المصنف قبل أن «الوسواس والخناس وصفان لموصوف محذوف» ثم قال هنا عن هذه الآية «صفة ثالثة للشيطان» فتكون الصفات هي (الوسواس) (الخناس) (الذي يوسوس في صدور الناس)، ويظهر أن قوله (ثم ذكر محلها ثانياً) غير صحيح لأن الصفة الثانية هي (الخناس) وليس فيها ذكر للمحل وإنما هو صوف للصفة الثالثة وهي (في صدور الناس).
ولعله لهذا السبب لم يذكر في المخطوطة كلمة (ثالثاً) التي وردت في تفسير ابن القيم هكذا/ (وإنها في صدور الناس ثالثاً) (ص ١٠٦) ويظهر لي أن العبارة غير صحيحة في المخطوطة وفي تفسير ابن القيم المطبوع والله أعلم.

(٥) وفي الصحيح «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» رواه البخاري (١١٤/٨)، ورواه مسلم (١٧١٢/٤).

(٦) عقد الإمام الغزالي في كتابه «الإحياء» ب أبا في بيان أن الوسواس هل يتصور أن ينقطع بالكلية عند الذكر أم لا؟ (٤٣/٣)، وذكر فيه خمسة أقوال للعلماء ثم قال «وبالجملة فالخلاص من =

يشغل القلب بحديثه حتى ينسيه ما يريد أن يفعله ، ولهذا يضاف النسيان عليه^(١) كما قال تعالى عن صاحب موسى ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا^(٢) أَنَسِنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾ [الكهف: ٦٣].

وتأمل حكمة القرآن وجلالته كيف أوقع الاستعاذة من شر الشيطان الموصوف بأنه (الوسواس إلى آخر السورة) ولم يقل من شر وسوسته^(٣) لتعم الاستعاذة جميع شره، فإن قوله (من شر الوسواس)^(٤) يعم كل شره^(٥)، ووصفه بأعظم صفاته واشدها شراً وهي الوسوسة التي هي مبادئ الإرادة^(٦) فإن القلب يكون فارغاً من

= الشيطان في لحظة أو ساعة غير بعيد ولكن الخلاص منه عمراً طويلاً بعيداً جداً ومحال في الوجود فالدنيا باب عظيم لوسوسة الشيطان وليس له باب واحد بل أبواب كثيرة. قال حكيم من الحكماء: «الشيطان يأتي ابن آدم من قبل المعاصي فإن امتنع أتاه من وجه النصيحة حتى يلقيه في بدعة، فإن أبى أمره بالتحرج والشدة حتى يحرم ما ليس بحرام، فإن أبى شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرج من العلم، فإن أبى خفف عليه أعمال البر حتى يراه الناس صابراً عفيفاً فتميل قلوبهم عليه فيعجب بنفسه وبه يهلكه، وعند ذلك يشتد إلحاحه فإنها آخر درجة ويعلم أنه لو جاوزها أفلت منه إلى الجنة» اهـ. «إحياء علوم الدين» للغزالي (٤٥/٣) باختصار.

(١) من باب إضافة الشيء إلى سببه كما قالا ابن القيم في «تفسيره» (ص ١٠٧).
(٢) في المخطوطة خطأ في كتابة الآية فجاءت فيها أنني نسيت الحوت وأما إنسانيه.
(٣) أي تأمل كيف قال (من شر الوسواس) ولم يقل من شر وسوسة الشيطان.
(٤) في المخطوطة (الوسواس) وأثبت ما في تفسير ابن القيم.
(٥) وذلك أن الوسوسة بعض عمل الشيطان فلو استعاذ من شر وسوسته لكانت استعاذته من الوسوسة فحسب وإذا استعاذ من شر الوسواس كانت استعاذته من الوسوسة ومن سائر أعمال الشيطان وسبأتي ذكر بعض هذه الأعمال.

(٦) للوسوسة في النفس مراتب:
الأولى: الهاجس وهو ما يلتقى فيها ولا يؤاخذ به.
الثانية: الخاطر: وهو ما يجري فيها وهو مرفوع أيضاً.
الثالثة: حديث النفس وهو تردده أن يفعل أولاً يفعل وهو مرفوع أيضاً.
الرابعة: الهم وهو قصد الفعل وهو مرفوع أيضاً.

الشر فيوسوس إليه، ويخطر الذنب بباله، فيصوره لنفسه ويشهيه فيصير شهوة، ويزينها ويحسنها له، فتصير إرادة، ثم لا يزال يمثل^(١) ويشهئ وينسى ضررها ويطوى عنه سوء عاقبتها فلا يرى إلا التذاه بالمعصية فقط وينسى ما وراء ذلك، فتصير الإرادة عزيمة جازمة^(٢) فيشتد الحرص من القلب، فلا يزال الشيطان بالعبد يقوده إلى الذنب^(٣) وينظم شمل الاجتماع بالطف حيلة وأتم مكيدة. فأصل كل معصية وبلاء إنما هو الوسوسة.

ولهذا وصفه بها لتكون الاستعاذة من شرها أهم، وإلا فشره بغير الوسوسة حاصل أيضاً.

فمن شره أنه لص سارق لأموال الناس^(٤) فكل طعام أو شراب لم يذكر اسم الله عليه فله فيه حظ بالسرقة والخطف، وكذلك بيت في البيت الذي لم يذكر فيه

= الخامسة: العزم وهو قوة القصد والجزم به قالوا والمحكي عن المحققين الأخذ به لقوله ﷺ: «إنه كان حريصاً على قتل صاحبه» متفق عليه.

انظر: «إيقاظ الحواس في بعض أسرار سورة الناس» عبد الله الأهدل (ص ٤١). وقال الغزالي «وهذا الهم قد يكون له مبدأ ضعيف ولكن إذا أصغى القلب غلى الخاطب الأول حتى طالت مجاذبته للنفس تأكد هذا الهم وصار إرادة مجزومة فإذا انجزمت الإرادة فربما يندم بعد الجزم فيترك العمل وربما يغفل بعارض فلا يعمل به ولا يلتفت غليه وربما يعوقه عائق فيتعذر عليه العمل» «إحياء علوم الدين» الغزالي (٤١/٣).

(١) في تفسير ابن القيم (يمثل له).
(٢) في المخطوطة (فتصير الإدارة جازمة) وأثبت ما في تفسير ابن القيم.

(٣) كما قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَضَّعُوا لَهُمْ أَذًا﴾ [مريم: ٨٣]. أي ترعجهم إلى المعاصي إزعاجاً كما نقلنا آنفاً عن ابن عيينة. البخاري (٢٣٦/٥).

(٤) كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ فقص الحديث فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقراً آية الكرسي. لن يزال معك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبه. وقال النبي ﷺ «صدقت وهو كذوب ذاك الشيطان» رواه البخاري (١٠٤/٨)، وانظر الحديث بتمامه (٣/٦٣، ٦٤).

اسم الله^(١) فيأكل طعام الإنس بغير إذنه، ويبيت في بيوتهم بغير أمرهم، ويدل على عوراتهم فيأمر العبد بالمعصية، ثم يلقي في قلوب أعدائه^(٢) يقظة ومناماً أنه فعل كذا وكذا^(٣).

ومن هذا إن العبد يفعل الذنب لا يطلع عليه أحد من الناس^(٤) فيصبح والناس يتحدثون به، وما ذاك إلا أن الشيطان يجهد في كشف ستره وفضيحته^(٥) فيغتر العبد، ويقول: هذا ذنب لم يره إلا الله، ولم يشعر بأن عدوه ساع في إذاعته. وقل من يتفطن من الناس لهذه الدقيقة.

ومن شره أنه يعقد على رأس العبد إذا نام عقدة^(٦) تمنعه من اليقظة كما في صحيح البخاري^(٧): «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد . . . الحديث»^(٨).

(١) ويدل على هذا حديث حذيفة رضي الله عنه وفيه: «.. فقال رسول الله ﷺ: إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه» رواه مسلم (١٥٩٧/٢)، وحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا دخل الرجل بيته، فذكر الله عند دخوله، وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء. وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت وإذا لم يذكر الله عند طعامه، قال: أدركتم المبيت والعشاء» رواه مسلم (١٥٩٨/٣).

(٢) في تفسير المعوذتين لابن القيم (في قلوب الناس).

(٣) قال الشعراني وهو يعدد دسائس الشيطان «ومن دسايسه أنه يأتي العبد بنور يكشف به معاصي العباد ويهتك به أستارهم ويظهر به عوراتهم فيظن ذلك المكاشف أنه على درجة عظيمة وإنما ذلك لأن الشيطان صار سمعه وبصره فيجب على ذلك المكاشف المبادرة إلى التوبة وإلا هلك» «إيقاظ الحواس» الأهدل (ص ٤٣).

(٤) في المخطوطة (لا يطلع عليه إلا الله أحداً من الناس) وأثبت ما في تفسير ابن القيم.

(٥) وذلك أن الإنسان إذا انكشف أمر معصيته قد يأس من استعادة سمعته الحسنة بين الناس فيتمادى ويصعب عليه الرجوع، بخلاف إذا سترت معصيته ولم يطلع عليها أحد من الناس فيبدو له باب التوبة قريباً وكأن شيئاً لم يكن فتسهل عودته واستقامته.

(٦) كذا في المخطوطة والصواب (عقداً) كما يدل عليه الحديث.

(٧) وفي صحيح مسلم كما سيأتي.

(٨) وبقية الحديث: «يضرب كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقده =

ومن شره أنه يبول في أذن العبد حتى ينام إلى الصباح^(١).

ومن شره أنه قعد لابن آدم بطرق الخير كلها فما من طريق من طرق الخير إلا والشيطان مرصد عليه يمنعه أن يسلكه^(٢)، فإن خالفه وسلكه ثبطه وعوقه. فإن عمله وفرغ منه سعى فيما يبطله^(٣).

ويكفي من شره أنه أقسم ليأتينهم من بين أيديهم، ومن خلفهم، وعن إيمانهم، وعن شمائلهم.

فإذا كان هذا شأنه همته في الشر فلا خلاص منه إلا بمعونة الله وتأيدته^(٤) ولا يمكن حصر أجناس شره، فضلاً عن آحادها، إذ كل شر في العالم فهو السبب فيه، ولكن ينحصر شره في ستة^(٥) أجناس.

(الشر الأول) الكفر والشرك ومعاداة الله ورسوله:

= فإن توضع انحلت عقده فإن صلى انحلت عقده فأصبح نسيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان» «صحيح البخاري» (٤٦/٢)، و«صحيح مسلم» (٥٣٨/١).

(١) كما روى البخاري ومسلم ذكر رسول الله ﷺ رجل نام ليلة حتى أصبح قال: «ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه، أو قال في أذنه» رواه البخاري (٤٧/٢)، ورواه مسلم (٥٣٧/١)، واللفظ له.

(٢) كما قال تعالى حكاية لقول إبليس لعنه الله: ﴿قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧].

(٣) وبهذا يكون عمل الشيطان على ثلاث مراحل:

الأولى: أن يمنعه عن فعل الخير العمل الصالح.

الثانية: إن عصاه وسلك طريق الخير لج به ليعوقه عن الاستمرار فيه والمداومة عليه.

الثالثة: إن لم يستطع سعى في جره إلى أمور تبطل ما فعله من خير من نحو المن في الصدقة ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا بُطْلُوهَا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤].

(٤) قال بعضهم «إن التدبير في دفع الشيطان الاستعاذة بالله ﷻ لا غير فإن الشيطان كلب سلطة الله سبحانه عليك فإن اشتغلت بمحاربهته ومعالجته تعبت وضاع عليك وقتك وربما يظفر بك فيعقرك أو يجرحك فالرجوع إلى رب الكلب ليصرفه عنك أولى» «منهاج العابدين» للغزالي (ص ٦٠).

(٥) في المخطوطة (أربعة) ولكنه ذكر ستة كابن القيم في تفسيره.

فإذا ظفر بذلك من ابن آدم^(١) استراح^(٢). وهو أول ما يريد من العبد، فإن يئس منه من ذلك، وكان ممن سبق له الإسلام في بطن أمه^(٣) نقله إلى (المرتبة الثانية) من الشر وهي: البدعة.

وهي أحب إليه من الفسوق والمعاصي لأن ضررها متعدد^(٤) وهو ذنب لا يتاب منه^(٥) وهي مخالفة لدعوة الرسل. ودعاء إلى خلاف ما جاءوا به فإذا نال منه البدعة وجعله من أهلها، صار نائباً له داعياً من دعائه، وإن عجز عن هذه المرتبة نقله إلى (المرتبة الثالثة) وهي الكبائر^(٦) على اختلاف أنواعها. فهو أشد حرصاً على أن يوقعه فيها، ولا سيما إن كان عالمًا متبوعًا فهو حريص على ذلك لينفر الناس منه^(٧)

(١) في المخطوطة (بابن آدم) وأثبت ما في تفسير المعوذتين: لابن القيم.
(٢) وذلك أن الشرك أعظم ذنب عصي الله تعالى به ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

(٣) لعله يريد من ولدوا في ديار الإسلام ولم يعرفوا الشرك.
(٤) لقوله عليه الصلاة والسلام «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء. ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» «صحيح مسلم» (٧٠٥/٢)، وقال ابن القيم (رحمه) معللاً ذلك «لأن ضررها في نفس الدين وهو ضرر متعدد» (ص ١١٢) «تفسير المعوذتين».

(٥) وذلك من وجهين:
الأول: لأن البدعة - كما قال ابن القيم - «ضررها في الدين وهو متعدد» وعليه إثمها وإثم من عمل بها إلى يوم القيامة وتوبته عن عمله هو ببدعته لا عن البدعة نفسها لأنها خرجت من يده بعمل الناس بها وأخذهم بها وهذا عمل يبوء بإثمه، ويبقى تحت المشيئة.
الثاني: أن صاحب البدعة يعتقد أن بدعته طاعة لله وليست بذنب تطلب التوبة منه فلا يزال ملتزماً لها لا يتوب عنها وهذا ما يظهر لي من كونها لا يتاب منها والله أعلم.

(٦) اختلف العلماء في تعريف الكبيرة:
ف قيل: ما اتفقت الشرائع على تحريمه.

وقيل: ما يترتب عليها حد، أو توعدها بالنار، أو اللعنة، أو الغضب وهذا أمثل الأقوال.
انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز (٥٢٥/٢).

(٧) في تفسير المعوذتين لابن القيم (عنه).

ثم يشيع من ذنوبه^(١) في الناس^(٢) ويستتیب منهم من يشيعها تقرّباً^(٣) - بزعمه - إلى الله - وهو نائب إبليس ولا يشعر فإن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم^(٤) هذا إذا أحبوا إشاعتها فكيف إذا تولوا هم إشاعتها، فإن عجز عن هذه المرتبة نقله إلى (المرتبة الرابعة) وهي الصغائر^(٥) التي إذا اجتمعت فربما

(١) وعند ابن القيم (ثم يشيع ذنوبه).

(٢) وقد ورد في الحديث مثال عليّ إشاعة الشيطان لذنوب العلماء والرهبان ومن ذلك حديث «كان راهب في بني إسرائيل أراد الشيطان فأعياه فعمد الشيطان إلى جارية فخنقها وألقى في قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب فأتوا بها إليه فأبى أن يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فلما كانت عنده ليعالجها أتاه الشيطان فزين له مقاربتها ولم يزل به حتى واقعها فحملت منه فوسوس إليه وقال: الآن تفتضح يأتيك أهلها فاقتلها فإن سألك فقل ماتت، فقتلها ودفنها فأتى الشيطان أهلها فوسوس إليهم وألقى في قلوبهم أن أحبلها ثم قتلها ودفنها، فأتاه أهلها فسألوه عنها فقال ماتت فأخذوه ليقتلوه بها فأتاه الشيطان فقال أنا الذي خنقتها وأنا الذي ألقى في قلوب أهلها فأطعني وأخلصك منهم قال: بماذا؟ قال اسجد لي سجدتين فسجد له سجدتين فقال له الشيطان إني برئ منك، فهو الذي قال الله تعالى فيه: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنْ بَرِئْتُ مِنْكَ﴾ [الحشر: ١٦].

قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار عن هذا الحديث: «رواه ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان، وابن مردويه في تفسيره مرسلًا» «المغني عن حمل الأسفار، ضمن الإحياء» (٣/٣٢)، وروى الحاكم نحوه في مستدركه موقوفًا على علي بن أبي طالب عليه السلام، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. «المستدرک» (٢/٤٨٥).

(٣) وما أكثر الذين يخوضون في أعراض العلماء في مجالس العامة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا.

(٤) كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

(٥) اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في تعريف الصغائر:

فقيل: كل ذنب لم يختم بلعنة أو غضب أو نار.

وقيل: الصغيرة ما ليس فيها حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة والمراد بالوعيد: الوعيد الخاص بالنار أو اللعنة أو الغضب وهذا هو المأثور عن السلف كابن عباس وابن عيينة وابن حنبل وغيرهم. انظر: «شرح الطحاوية» (٢/٥٢٥، ٥٢٦).

أهلكت صاحبها، كما قال النبي ﷺ «إياكم ومحقرات الذنوب فإن مثل ذلك مثل قوم نزلوا بفلاة من الأرض» وذكر حديثاً^(١) معناه أن كل واحد منهم جاء بعود حطب حتى أوقدوا ناراً عظيمة فطبخوا.

ولا يزال يسهل عليه أمر الصغائر حتى يستهين بها، فيكون صاحب الكبيرة الخائف^(٢) أحسن حالاً منه، فإن أعجزه العبد من هذه المرتبة نقله إلى: (المرتبة الخامسة) وهي: انشغاله بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب بل عاقبتها فوات الثواب الذي ضاع عليه باشتغاله بها، فإن أعجزه العبد من هذه المرتبة، وكان حافظاً لوقته شحيحاً به، يعلم أنه مقدار أنفاسه وانقطاعها وما يقابلها من النعيم والعذاب^(٣) نقله إلى: (المرتبة السادسة) وهي أن يشغله بالعمل المفضول عما هو أفضل منه ليفوته ثواب العمل الفاضل فيأمره بفعل الخير المفضول ويحضه عليه إذا تضمن ترك ما هو أفضل منه، وقل من يتنبه لهذا من الناس فإنه إذ رأى فيه داعياً قوياً إلى نوع من الطاعة فإن لا يكاد^(٤) يقول هذا الداعي من الشيطان فإن الشيطان

(١) وهو حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم ومحقرات الذنوب كقوم نزلوا في بطن واد فجاء ذا بعود حتى انضجوا خبزتهم وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه» رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣٣١/٥).

(٢) عند ابن القيم (الخائف منها).

(٣) وغفل كثير من الناس عن هذا المعنى وجهلت طائفة أن الوقت يجب أن يصرفه المؤمن كله في عبادة لا يصرف شيئاً منه لغيرها وقد يستشكل بعض الناس ذلك ويزول البس إذا علموا أن نوم المؤمن عبادة وسهره عبادة، وأكله عبادة وصيامه عبادة، وعمله عبادة وراحته عبادة، وحتى إتيانه أهله عبادة، فلا عجب أن يكون وقت المؤمن كله وحياته كلها عبادة لله تعالى، ولهذا يسأل الإنسان عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه كيف لا وقد أخبر الله سبحانه أنه ما خلقنا إلا لعبادته فقال عز شأنه ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

(٤) (فإن قلت): فكيف يصرف المؤمن وقته في المباحات إذا كان كل أمره خيراً؟ (قلت) نسيانه أو تركه نية العمل الصالح فياخلاص النية تصبح عبادات وبفساد النية تصبح العبادات عادات.

(٤) أي يستبعد أن يكون هذا من وسوسة الشيطان لجهله أن الشيطان قد يأمر بخير لتفويت خير أعظم منه فضلاً.

لا يأمر بخير، ويرى أن هذا خير^(١) ولم يعلم أن الشيطان يأمره بسبعين ب أبا من أبواب الخير، إما ليتوصل بها إلى باب واحد من الشر، وإما ليفوت بها خيراً أعظم من تلك السبعين باباً، وأجل، وأفضل.

وهذا لا يتوصل إلى معرفته إلا بنور من الله يقذفه في قلب العبد يكون سببه تجريد متابعة الرسول، وشدة عنايته بمراتب الأعمال عند الله، وأحبها إليه، وأنفعها للعبد، وأعمها نصيحة لله، ولرسوله ولكتابه، ولعباده المؤمنين، خاصتهم وعامتهم، وأكثر الخلق محجوبون عن ذلك لا يخطر بقلوبهم^(٢).

فإذا أعجزه العبد من هذه المراتب الست^(٣) سلط عليه حزبه^(٤) من الإنس والجن بأنواع الأذى، والتكفير، والتبديع، والتحذير منه لشوش عليه قلبه، وليمنع الناس من الانتفاع به.

فحينئذ يلبس المؤمن لأمة^(٥) الحرب^(٦) ولا يضعها عنه، إلى الموت ومتى

(١) في المخطوطة (خيراً) وصححته من تفسير المعوذتين لابن القيم.

(٢) في المخطوطة (محجوبون، ذلك لا يخطر بقلوبهم).

(٣) في المخطوطة (هذه المراتب) ولم يذكر عددها وأثبت ما في تفسير المعوذتين لابن القيم، وقد مر بنا في هامش سابق أن الشيخ حصرها بأربع مراتب ولكنه ذكر ستاً.

(٤) بل قد يسلط عليه الشيطان من ليسوا من حزبه ممن فيهم صلاح فيدخل عليهم من باب الوسوسة بتبرئة الذمة فيقعون في أعراض المسلمين والعلماء ويشنعون عليهم أخطاءهم وهفواتهم، ويرونه أن ذمتهم لا تبرأ حتى يعلنوا ذلك للناس، بل قد يقع ذلك من بعض علماء المسلمين فيدخل عليهم الشيطان من باب الحسد والغيرة، فينكرون على من فاقهم علماً وصلاحاً واستقامة وإن كانوا يعلمون صدقة، بل قد يكفرونهم ويلصقون بهم وبدعوتهم الأباطيل ومن أشهر الأمثلة على ذلك ما جرى على ابن تيمية رحمه الله تعالى من بعض علماء عصره وما جرى للشيخ محمد بن عبد الوهاب من بعض علماء عصره موقفهم من دعوته ومحاربتها وتشويهها.

(٥) الأمة: الدرر. «لسان العرب» (١٢/٥٣٢).

(٦) يشير إلى أن المؤمن ينبغي أن يكون على استعداد دائم لمحاربة الشيطان الذي لا يكل ولا يمل من الكيد للمؤمنين، ولا يظن المؤمن إنه إذا أغلق أبواب قلبه عن الشيطان فقد استراح وآمن من كيدته فهو أن أعجز عن الكيد للمؤمن عن طريق الوسوسة إلى قلبه، ولج إلى لقلوب غيره ووسوس إليهم بإيذائه والكيد له ومحاربتة فينبغي على المؤمن أن يكون في جهاد دائم واستعداد لا ينقطع وحذر شديد من كيد الشيطان ومكره.

وضعها أسر وأصيب^(١) فلا يزال في جهاد حتى يلقي الله .

فتأمل هذا الفصل وتدبره، واجعله ميزانك، تزن به نفسك، وتزن به الناس^(٢) والله المستعان .

وتأمل السر في قوله تعالى: ﴿يُوسُوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ ولم يقل قلوبهم، والصدر هو ساحة القلب، وهو بمنزلة الدهليز وبيته، فمنه تدخل^(٣) الواردات إليه فتجتمع في الصدر ثم تلج في القلب، ومن القلب تخرج^(٤) الأوامر، والإرادات إلى الصدر، ثم تتفرق على الجنود^(٥) .

ومن فهم هذا قوله تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤] . فالشيطان يدخل إلى ساحة القلب وبيته ويلقي ما يريد إلقاءه إلى القلب .

فهو موسوس^(٦) في الصدر وسوسة^(٧) وأصلة إلى القلب^(٨)، ولهذا قال تعالى

(١) في تفسير المعوذتين لابن القيم (أسر أو أصيب) .

(٢) في تفسير المعوذتين لابن القيم (تزن به الناس وتزن به الأعمال) وليس فيه تزن به نفسك .

(٣) في المخطوطة (يدخل) .

(٤) في المخطوطة (يخرج) .

(٥) وفي إثثار الصدور على القلوب نكتة أخرى: وهي المبالغة في نعت الوسوسة أنها تملأ الصدور التي هي بيت القلب فيمتلئ بها القلب ويضيق بها الصدر حرًا، وفي الآية مجاز مرسل بإطلاق اسم المحل على الحال . انظر: «إيقاظ الحواس في بعض أسرار سورة الناس» عبد الله الأهدل (ص ٢٣، ٢٤) .

(٦) في المخطوطة (فهوسوس) وهو خطأ فصحته .

(٧) عند ابن القيم في تفسير المعوذتين (ووسوسته) .

(٨) قال الغزالي في تصوير وسوسة الشيطان في القلب «اعلم أن مثال القلب مثال حصن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولى عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو إلا بحراسة أبواب الحصن ومدخله ومواضع ثلمة» ثم بين الأبواب التي يدخل منها الشيطان إلى القلب، الغضب والشهوة والحسد والحرص والشبع من الطعام والدرهم والدنانير والبخل وخشية الفقر والتعصب للمذاهب والأهواء وسوء الظن وشرح كلاً منها شرحًا وافيًا . انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٣/ ٣٢ - ٣٧) .

﴿فَوْسُوسٌ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ [طه: ١٢٠]. ولم يقل: فيه؛ لأن المعنى إنه ألقى إليه ذلك وأوصله إليه فدخل في قلبه^(١).

وقوله تعالى: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾^(٢).

اختلف الناس في هذا الجار والمجرور، وبم يتعلق^(٣) فقال الفراء^(٤) وجماعة: «هو بيان للناس الموسوس في صدورهم»^(٥) أي أن الموسوس في صدورهم قسمان: إنس وجن، فالوسواس يوسوس للجني كما يوسوس للإنسي، وهذا القول ضعيف جداً لوجوه منها^(٦):

أنه لم يقم دليل على أن الجني يوسوس في صدر الجني ويدخل فيه كما يدخل في الإنسي.

(والناس)^(٧) اسم لبني آدم، فلا يدخل الجن في مسماهم^(٨).

والصواب القول الثاني وهو: أن قوله (من الجنة والناس) بيان للذي يوسوس،

(١) فالوسوسة في الصدر ومنه إلى القلب.

(٢) في المخطوطة (من الناس) وهو سبق قلم.

(٣) عند ابن القيم في تفسيره (بم يتعلق).

(٤) هو أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء ولد بالكوفة (سنة ١٤٤هـ)، ونشأ بها وتربى على شيوخها، أشهر تلامذة الكسائي، وأعلم الكوفيين بالنحو من بعده، وكان يقال الفراء أمير المؤمنين في النحو توفي (سنة ٢٠٧هـ). انظر: «نزهة الألباء» لأبي البركات الأنباري (ص ٨١-٨٤).

(٥) وعبرة الفراء فالناس ها هنا قد وقعت على الجنة وعلى الناس كقولك: يوسوس في صدور الناس: جنتهم وناسهم ثم استشهد لذلك. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/٣٠٢).

(٦) ذكر ابن القيم -رحمه الله تعالى- في تفسيره هنا أربعة وجوه وتوسع في بيانها، ولم يذكر الشيخ هنا إلا وجهين.

(٧) هذا هو الوجه الثاني.

(٨) في هذه المسألة خلاف وممن يرى صحة تسمية الجن بالناس الإمام الطبري -رحمه الله تعالى- في تفسيره حيث قال: «فإن قال قائل فالجن ناس.؟ قيل قد سماهم الله في هذا الوضع ناساً كما سماهم في موضع آخر رجلاً فقال: (وإنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن) فجعل الجن رجلاً، وكذلك جعل منهم ناساً وقد ذكر عن بعض العرب أنه قال وهو يحدث إذا =

وأنهم نوعان، إنس، وجن، فالجن يوسوس في صدر الإنسي، والإنسي يوسوس إلى الإنسي^(١)(٢).

فالموسوس نوعان: إنس، وجن.

فإن الوسوسة هي: الإلقاء الخفي في القلب^(٣) وهذا مشترك بين الجن والإنس.

= جاء قوم من الجن فوقفوا فقبل من أنتم؟ فقالوا: ناس من الجن. فجعل منهم ناسًا فكذلك ما في التنزيل بعد ذلك) «تفسير الطبري» (٢٢٩/٣٠).

(١) عند ابن القيم (في صدور الإنس).

(٢) هذان قولان من أقوال كثيرة للنحويين في قوله تعالى: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ ذكر ابن عادل - رحمه الله تعالى - في تفسيره ملة منها سأعرضها بإيجاز شديد خشية الإطالة:

أحدها: أنه بدل من شر بإعادة العامل أي من شر الجنة.

الثاني: أنه بدل من ذي الوسواس لأن الموسوس من الجن والإنس.

الثالث: أنه حال من الضمير في يوسوس حال كونه من الجنسين.

الرابع: أنه بدل من الناس وجعل (من) بيانه وأطلق على الجن أسم الناس لأنهم متحركون في إرادتهم.

الخامس: أنه بيان للذي يوسوس على أن الشيطان ضربان جنى وإنسي.

السادس: أنه يتعلق بيوسوس و(من) لابتداء الغاية أي يوسوس في صدورهم من جهة الجن والإنس.

السابع: أن والناس عطف على الوسواس أي من شر الوسواس .. والناس ولا يجوز عطفه على الجنة لأن الناس لا يوسوسون في صدور الناس إنما يوسوس الجن فلما استحال المعنى حمل على العطف على الوسواس.

الثامن: أن (من الجنة) حال من الناس أي كائنين من القبيلين. اهـ. زاد الكرمانى في «غرائب التفسير وعجائب التأويل» (١٤١٦/٢) قولين.

التاسع: أن من الجنة والناس يجوز أن يكون متصلًا بالناس الأولى (برب الناس).

العاشر: أن (الذي) مبتدأ خبره ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾.

وزاد السفاسى قولاً هو القول:

الحادي عشر: أن (من) تبعضييه أي كائنًا من الجنة والناس فهو في موضع الحال أي ذلك الموسوس بعض الجنة وبعض الناس.

انظر: «إيقاظ الحواس في بعض أسرار سورة الناس» (ص: ٣٠-٣٢).

(٣) ذكرت تعريف الوسوسة (ص: ٣٢).

وإن كان إلقاء الإنسي ووسوسته إنما هي بواسطة الأذن، والجني لا يحتاج إلى الوساطة لأنه يدخل في ابن آدم ويجري منه مجرى الدم^(١) على أن الجني قد يتمثل ويوسوس عليه فيأذنه كالإنسي كما في البخاري^(٢) عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الملائكة تحدث^(٣) في العنان - والعنان الغمام - بالأمر يكون في الأرض فتسمع الشياطين الكلمة فتقرأها^(٤) في أذن الكاهن، كما تقر^(٥) القارورة، فيزيد معها مائة كذبة من عند أنفسهم»^(٦).

فهذه^(٧) وسوسة وإلقاء من الشيطان^(٨) بواسطة الأذن، ونظير اشتراكهما^(٩) في

(١) كما ورد في الحديث «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» «صحيح البخاري» (١١٤/٨)، و«صحيح مسلم» (٤/١٧١٢).

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» (٤/٩٤) وليس فيه (من عند أنفسهم).

(٣) في المخطوطة (تحدث).

(٤) قال ابن الأثير: «القر: ترديد الكلام في أذن المخاطب حتى يفهمه».

وقر القارورة: صوتها إذا صب الماء فيها، «النهاية في غريب الحديث» (٤/٣٩). وقال الزمخشري: «قررت الكلام في أذنه إذا وضعت فاك على أذنه فأسمعته كلامك». «الفايق في غريب الحديث» (٣/١٧٨).

(٥) في المخطوطة (فيقرأها .. كما يقر).

(٦) يوضح هذا حديث أبي هريرة رضي الله عنه يقول: أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا قضي إليه الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم، قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعض فوق بعض ووصف سفيان بكفيه فحرفها وبدد بين أصابعه فيسمع الكلمة فيلقبها إلى من تحته ثم يلقبها الآخر إلى من تحته حتى يلقبها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقبها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة، فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا، كذا وكذا، فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء» «صحيح البخاري» (٦/٢٨-٢٩).

(٧) في المخطوطة (فهذا).

(٨) يعني شيطان الجن وشيطان الإنس.

(٩) أي شيطان الجن وشيطان الإنس.

هذه الوسوسة^(١) اشتراكهما في الوحي الشيطاني، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]. (٢)(٣).

ونختم الكلام على السورتين^(٤) في ذكر قاعدة نافعة فيما يعتصم به العبد من الشيطان ويحترز منه^(٥)، وذلك عشرة

(١) والمعنى أن شياطين الإنس والجن يشتركان في الوسوسة بواسطة الأذن ويزيد الشيطان بالوسوسة بدون واسطة الأذن، ويشتركان في أمور أخرى عد منها الوحي الشيطاني.

(٢) من قوله (وهذا القول ضعيف جداً لوجوه منها) إلى هنا رد من المؤلف على أصحاب القول الأول وهو أن ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ بيان للموسوس في صدورهم، وترجيح للقول الثاني وهو أنها بيان للذي يوسوس، وبني ابن القيم -رحمه الله تعالى- على هذا الترجيح أن الاستعاذة على القول الأول إنما تكون من شر شياطين الجن فقط، وتكون على القول الثاني من شر شياطين الإنس والجن. انظر: «تفسير المعوذتين» (ص ١٢٢).

(٣) ذكر العلماء فرقا لطيفا بين الاستعاذة في سورة الفلق والاستعاذة في سورة الناس وهو أن المستعاذ به في سورة الفلق مذكور بصفة واحدة وهي ﴿بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ والمستعاذ منه ثلاثة وهي (الفاسق) و﴿الْفَتْنَتِ﴾ و(الحاسد).

وأما المستعاذ به في سورة الناس فمذكور بثلاث صفات وهي ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ والمستعاذ منه شر واحد هو ﴿الْوَسْوَاسِ﴾.

والفرق بين الموضوعين أن الثناء يجب أن يتقدر بقدر المطلوب فالمطلوب في السورة الأولى ﴿الْفَلَقِ﴾ سلامة النفس والبدن، والمطلوب في السورة الثانية سلامة الدين، وهذا تنبيه على أن مضرة الدين وإن قلت أعظم من مضار الدنيا وإن عظمت. انظر: «التفسير الكبير» للرازي (١٩٩/٣٢).

(٤) أي سورة ﴿الْفَلَقِ﴾ وسورة ﴿النَّاسِ﴾ واصل هذا التفسير للسورتين، وقد قمت قبل ذلك بتحقيق تفسير سورة ﴿الْفَلَقِ﴾ وحدها ونشرتها في مجلة البحوث الإسلامية العدد (٢٧) ثم طبعت بعد ذلك مستقلة.

(٥) للشيطان في قلب ابن آدم حالتان:

١- حالة استقرار. ٢- حالة اجتياز وخطرات.

فإذا سد الإنسان منافذ الشيطان إلى القلب ومداخله التي أشرت إلى جملة منها قبل ذلك ومنها إتباع الشهوات، والغضب، والحسد، والحرص . . وغير ذلك وقطع عن الشيطان هذا القوت =

أسباب: (١).

(أحدها): الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم (٢).

قال تعالى: ﴿وَمَا يَزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزَعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ (٣) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾
[فصلت: ٣٦]. والمراد بالسميع ههنا: سميع الإجابة، لا السمع العام (٤).
(الحرز الثاني): قراءة هاتين السورتين (٥).

فإن لهما تأثيراً عجبياً في الاستعاذة (٦) بالله من شره ودفعه ولهذا قال النبي ﷺ
ما تعوذ المتعوذون بمثلهما (٧) وكان يتعوذ بهما كل ليلة عند

= فلا استقرار له فيه وبقيت له حالة الاجتياز والخطرات.

ويمنعه من الاجتياز والخطرات ذكر الله تعالى فإذا ذكر الله خنس وإذا غفل وسوس، وذكر المؤلف هنا ما يمنع الحالتين بإذن الله تعالى.

(١) الأسباب أكثر من ذلك بكثير، وإنما ذكر المؤلف -رحمه الله تعالى- هنا أهمها وأشهرها وقد ذكر الأستاذ وحيد عبد السلام في كتابه (وقاية الإنسان من الجن والشيطان) ستة وثلاثين حرزاً.
(٢) بن القيم -رحمه الله تعالى- في كتابه «إغاثة اللهفان» (١/١٠٩-١١١) مبحث نفيس في أسرار الاستعاذة والحكمة منها.

(٣) قال الغزالي، «إذا خطر في القلب ذكر شيء انعدم منه ما كان فيه من قبل . . . ولا يعالج الشيء إلا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة والتبري من الحول والقوة وهو معنى قولك: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» «إحياء علوم الدين» (٣/٢٨).

(٤) واستدل ابن القيم في موضع آخر لصحة هذا المعنى بقوله: «فهو مثل قوله» سمع الله لمن حمده» وقول الخليل ﷺ: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩] «تفسير المعوذتين» لابن القيم: (ص ٧٩). وقال الإمام الرازي في «تفسيره» (١٩/١٣٩) (وقوله -يعني إبراهيم عليه-) «سمع الدعاء» من قولك سمع الملك كلام فلان إذا اعتد به وقلبه ومنه سمع الله لمن حمده).

(٥) أي سورتين ﴿الْفَلَقِ﴾ و﴿النَّاسِ﴾.

(٦) في المخطوطة (والاستعاذة).

(٧) لم أجده بهذا اللفظ وفي الحديث «عن ابن عباس الجهني ﷺ أن رسول الله ﷺ قال له: يا ابن عباس ألا أخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذون؟ قال: قلت: بلَى فقال رسول الله ﷺ قل أعوذ برب الناس وأعوذ برب الفلق هاتين السورتين» «مسند الإمام أحمد» (٤/١٥٣)، «سنن النسائي» (٨/٢٥٢).

النوم^(١) وأمر عقبه بن عامر أن يتعوذ بهما دبر كل صلاة^(٢) وذكر ﷺ أن من قرأهما مع سورة الإخلاص ثلاثاً حين يمسي وثلاثاً حين يصبح كفته من كل شيء^(٣).

(الحرز الثالث): قراءة آية الكرسي^(٤).

(الحرز الرابع): قراءة سورة البقرة.

ففي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «إن البيت الذي تقرأ فيه البقرة لا يدخله الشيطان»^(٥).

= وفي حديث آخر عن عقبه بن عامر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: قل قلت: وما أقول؟ قال قل هو الله أحد أعوذ برب الفلق، قل أعوذ برب الناس، فقرأهن رسول الله ﷺ ثم قال: لم يتعوذ الناس بمثلهن، أو لا يتعوذ الناس بمثلهن رواه النسائي (٢٥١/٨).

(١) في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات» «صحيح البخاري» (١٠٦/٦).

(٢) ونص الحديث: عن عقبه بن عامر رضي الله عنه قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ المعوذات دبر كل صلاة» «سنن أبي داود» (حديث: ١٥٢٣) (٨٦/٢)، و«سنن النسائي» (٦٨/٣)، والترمذي في «جامعه» (١٧١/٥) وقال حسن غريب.

(٣) ونص الحديث عن عبد الله بن خبيب رضي الله عنه قال: «خرجنا في ليلة مطيرة وظلمة شديدة نطلب رسول الله ﷺ يصلي لنا. قال فأدعكته، فقال: قل. فلم أقل شيئاً، ثم قال قل فلم أقل شيئاً، قال: قل قلت: ما أقول؟ قال: قل هو الله أحد، والمعوذتين حين تمسي وتصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء» رواه الترمذي، وقال حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه (٥٦٧/٥، ٥٦٨)، وأبو داود (٣٢٢/٤)، والنسائي (٢٥٠/٨).

(٤) أوردت الحديث (ص ٣٧) هامش (٤) وفيه أن الشيطان قال لأبي هريرة رضي الله عنه: «إذا أويت إلى فراشك فاقراً آية الكرسي، لن يزال معك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، وقال النبي ﷺ: صدقك وهو كذوب ذاك الشيطان» «صحيح البخاري» (١٠٤/٨).

(٥) رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح ولفظه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، وإن البيت الذي تقرأ فيه البقرة لا يدخله الشيطان». «الجامع الصحيح» للترمذي (١٥٧/٥)، وقول المصنف -رحمه الله تعالى- (ففي الصحيح) إشارة إلى رواية مسلم ولفظه «لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة» «صحيح مسلم» (٥٣٩/١).

(الحرز الخامس): خاتمة البقرة.

فقد ثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»^(١).

(الحرز السادس): أول سورة حم المؤمن، إلى قوله: ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [غافر: ٣]^(٢).

ففي الترمذي من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي ليلى^(٣) عن زرارة بن مصعب عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حم المؤمن إلى قوله: ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾، وآية الكرسي حين يصبح، حفظ بهما حتى يمسي، ومن قرأهما حين يسمي، حفظ بهما حتى يصبح»، وعبد الرحمن المليكي وإن كان قد تكلم فيه من قبل حفظه فالحديث له شواهد في قراءة آية الكرسي، وهو محتمل على غرابته.

(الحرز السابع): لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، مائة مرة.

(١) رواه البخاري (١٠٤/٦)، ومسلم (٥٥٥/١).

(٢) والآيات من ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّلَوِّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.

(٣) كذا في المخطوطة وهو خطأ وفي تفسير ابن القيم ورد في الطبقات الأربع (عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبي مليكة) وفي الطبعة الهندية، بتحقيق عبد الصمد شرف الدين (عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي مليكة) وقد علق المحقق فقال «وفي كلتي الطبعتين حديث عبد الرحمن بن أبي بكر عن ابن أبي مليكة وهو خطأ فاحش» (ص ٩٩) وما قاله هو الصواب فقد ورد الاسم كذلك في «جامع الترمذي» (عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي مليكة المليكي) (٥/١٥٨) وكذا عند الدارمي (٢/٤٤٩) ورد (عبد الرحمن بن أبي بكر المليكي). قال في «تهذيب التهذيب» (٦/١٤٦) «عن ابن معين ضعيف وقال أبو حاتم ليس بقوى في الحديث وقال النسائي: ليس بثقة .. وعن أحمد منكر الحديث وقال الساجي صدوق فيه ضعف يحتمل».

أما الحديث فقال الترمذي (هذا حديث غريب) وقال الألباني «ضعيف» انظر: «ضعيف الجامع الصغير» (٥/٢٣٥ حديث: ٥٧٨١).

ففي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر من ذلك»^(١).

فهذا حرز عظيم النفع، جليل الفائدة، يسير سهل على من يسره الله عليه^(٢).
 (الحرز الثامن): وهو من أنفع الحروز من الشيطان: كثرة ذكر الله ﷻ وهذا بعينه هو الذي دلت عليه سورة الناس، فإن وصف الشيطان فيها بأنه الخناس والخناس إذا ذكر العبد ربه انخنس، فإذا غفل عن ذكر الله التقم القلب وألقي إليه الوسوس، فما احرز العبد نفسه من الشيطان بمثل ذكر الله عز جل^(٣).

(١) «صحيح البخاري» (٩٥/٤)، و«صحيح مسلم» (٢٠٧١/٤) وزاد مسلم: «ومن قال: سبحان الله وبحمده، في يوم مائة مرة حطت خطاياها ولو كانت مثل زبد البحر».

(٢) بل هو والله من أيسر العبادات ولولا ماران على القلوب من وسوسة الشياطين وما عليها من دخان الشهوات وغيم النفوس ما فترت الألسن عن هذا الدعاء وأمثاله من سهولة حفظه ويسر نطقه وعظيم أجره وجزيل ثوابه.

(٣) بل الذكر أول ما ينسيه الشيطان العبد إذا استحوذ عليه قال تعالى: ﴿أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ [المجادلة: ١٩]، والشيطان يلزم من يعش عن ذكر الله قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦]، فالذكر والشيطان متضادان لا يجتمعان وفي فضل الذكر وردت أحاديث كثيرة فقد جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: «إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأنبئني بشيء أتشبث به فقال: لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله» رواه الحاكم في «مستدرکه» (٤٩٥/١) وصححه ووافقه الذهبي، وروى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قال: وما رياض الجنة قال خلق الذكر» رواه الترمذي (٥٣٢/٥).

ولو لم يكن في الذكر إلا أنه حرز من الشيطان لكان حقيقًا بالعبد أن لا يفتر لسانه من ذكر الله تعالى وقد وردت النصوص ليس بالذكر فحسب وإنما بالإكثار منه فقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْبُيُوتُ إِذَا لَيْسَتْ فِيهَا نَفْسٌ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]. وقال سبحانه ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١]. =

(الحرز التاسع) الوضوء^(١)، والصلاة^(٢).

وهذا من أعظم ما يتحرز العبد به^(٣) ولا سيما عند الغضب والشهوة فإنها نار تصلى^(٤) في قلب ابن آدم، كما روى الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا وإن

وقال عز شأنه ﴿وَالذَّكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ﴾ [الأحزاب: ٣٥].
وقال ﷺ ﴿فَإِذَا فَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ، أَبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠]
والنصوص كثيرة في الأمر بالإكثار من الذكر.

وقد وقع خلاف في التفضيل بين الذكر والجهاد ولابن القيم تفصيل دقيق حيث قال: «وهذا الحديث هو فصل الخطاب في التفصيل بين الذاكر المجاهد، فإن الذاكر المجاهد أفضل من الذاكر بلا جهاد والمجاهد الغافل، والذاكر بلا جهاد أفضل من المجاهد الغافل عند الله تعالى. فأفضل الذاكرين المجاهدون وأفضل المجاهدين الذاكرون» «الوابل الصيب» لابن القيم (ص ٤٩).

وليس هذا مقام الإطناب في فوائد الذكر وحسبنا قول ابن القيم -رحمه الله تعالى- أن للذكر أكثر من مائة فائدة ذكر منها -رحمه الله تعالى- تسعاً وسبعين فائدة مع ذكر النصوص الواردة فيها فمن أراد مزيد خير وفقه وفائدة فليراجعها في «الوابل الصيب من الكلم الطيب» لابن القيم (ص ٥٢).

(١) وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما ما أن رسول الله ﷺ قال: «طهروا هذه الأجساد طهركم الله فإنه ليس من عبد بيت طاهراً إلا بات معه في شعاره ملك، ولا ينقلب ساعة من الليل إلا قال: اللهم اغفر لعبدك فإنه بات طاهراً» رواه الطبراني في «الأوسط» بإسناد جيد.

قاله المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/٤٠٩)، وفي «المعجم الكبير» (١٢/٤٤٦) وروى البزار نحوه عن عمر. انظر: «كشف الأستار عن زوائد البزار» للهيثمي (١/١٤٩، ١٥٠) قال الهيثمي (كذلك هو عند البزار وأرجو حسن الإسناد) (١/١٢٦) «مجمع الزوائد».

(٢) وفي الحديث عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من ثلاثة في قرية ولا بدو ولا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان فعليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية» رواه أبو داود.

(٣) وقد ورد في الحديث أن ذكر الله والوضوء والصلاة من أسباب حل عقد الشيطان فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب كل عقدة عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان» متفق عليه البخاري (٢/٤٦)، و«صحيح مسلم» (١/٥٣٨).

(٤) عند ابن القيم (تغلي).

الغضب جمرة في قلب ابن آدم»^(١) فما أطفأ^(٢) العبد جمرة الغضب بمثل الوضوء، والصلاة، فإن الصلاة إذا وقعت بخشوعها والإقبال على الله فيها أذهبت أثر ذلك جملة، وهذا أمر تجربته تغني عن إقامة الدليل.

(الحرز العاشر): إمساك فضول النظر، والكلام، والطعام، ومخالطة الناس^(٣) فإن الشيطان إنما ينال غرضه من ابن آدم من هذه الأبواب الأربعة فإن فضول النظر: يدعو إلى الاستحسان، ووقوع المنظور^(٤) إليه في القلب والاشتغال به، وفي المسند عن النبي ﷺ أنه قال: «النظرة^(٥) سهم مسموم من سهام إبليس فمن غص

(١) من حديث طويل وفيه «إلا وإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم أما رأيتم غلى حرمة عينيه وانتفاخ أوداجه فمن أحس بشيء من ذلك فليصق بالأرض . . . الحديث» رواه الترمذي. وقال هذا الحديث حسن صحيح (٤/٤٨٣، ٤٨٤)، والإمام أحمد في (مسنده) (٣/١٩).

(٢) في المخطوطة (طفئ) والتصويب من «تفسير المعوذتين» لابن القيم.

(٣) وهذا الحرز من أهمها إن لم يكن أهمها إذ أن هذه الأمور الأربعة هي قوت الشيطان وحتى يتضح الأمر أضرب المثال، فالشيطان كالقط الجائع إذا جلست وبين يديك طعام فإنه يتسلط عليك يأتيك من يمينك وعن شمالك ومن خلفك ويدنو ويتعد وأنت في كل مرة تطرده، بل قد تضربه لكنه يعود ولا تزال معه في عراقك، فإن لم يكن بين يديك طعام فإن كلمة واحدة تكفي لطرده فالشيطان يتسلط على القلب إن وجد قوته فيها كما أشرنا (فضول النظر والكلام والطعام ومخالطة الناس) فإن لم يجد القوت انصرف بمجرد الذكر، فلا بد لطرد الشيطان من الجمع بين إخلاء القلب من قوت الشيطان والإكثار من الذكر، وكما قال الغزالي: (فالقلب الخالي عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر، فأما الشهوة إذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر إلى حواشي القلب فلم يتمكن من سويدائه فيستقر الشيطان في سويداء القلب، وأما قلوب المتقين الخالية من الهوى والصفات المذمومة فإنه يطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر، فإذا عاد إلى الذكر خنس الشيطان).

«الإحياء» (٣/٣٧). كما قال بعضهم في تشبيه سطو الشيطان على القلب (إنما مثل ذلك مثل البيت الذي يمر به للصوص فإن كان فيه شيء عالجه وغلا مضوا وتركوه) «الإحياء» (٣/٢٨).

(٤) في المخطوطة (يدعو إلى استحسان وقوع المنظور).

(٥) في المخطوطة (النظر).

بصره^(١) أورثه الله حلاوة يجدها في قلبه إلى يوم يلقاه» أو كما قال النبي ﷺ^(٢).

وأما فضول الكلام^(٣) فإنها تفتح للعبد أبو أبا من الشر كلها مداخل للشيطان^(٤) فإمسك فضول الكلام يسد عنه تلك الأبواب، وكم من حرب جرتها كلمة واحدة،

(١) لغض البصر فوائد عديدة يطول شرحها ولا ين القيم - رحمه الله تعالى - كلام نفيس في هذا المقام فقال: قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَيْدِيهِمْ وَيَحْفَظُوا أَرْجُلَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠] فجعل الزكاة بعد غض البصر وحفظ الفرج. ولهذا كان غض البصر عن المحارم يوجب ثلاث فوائد، عظيمة الخطر، جليلة القدر:

(إحداها حلاوة الإيمان ولذته . . فإن من ترك شيئاً لله عوضه الله ﷻ خيراً منه .
(الفائدة الثانية) نور القلب وصحة الفراسة . . وسر هذا أن الجزء من جنس العمل . . فكما أنه أمسك نور بصره عن المحرمات اطلق الله نور بصيرته وقلبه . . وقد ذكر الله سبحانه قصة قوم لوط وما ابتلوا به ثم قال بعد ذلك ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥].

وهم المتفرسون الذين سلموا من النظر المحرم والفاحشة . وقال تعالى عقيب أمره للمؤمنين بغض أبصارهم وحفظ فروجهم ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥].

(الفائدة الثالثة) قوة القلب وثباته وشجاعته فيعطيه الله تعالى بقوته سلطان النصرة، كما أعطاه بنوره سلطان الحججة» اه بتصرف من «إغاثة اللفهان» لابن القيم (١/٥٩ - ٦١).

(٢) الحديث الذي في المسند حديث أبي أمامة الباهلي ؓ عن النبي ﷺ قال: «ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة أول مرة ثم يغض بصره إلا أحدث الله له عبادة يجدها حلاوتها» (٣/١٧٦). وقال الألباني (ضعيف جداً) «الأحاديث الضعيفة» (٣/١٧٦).

وأما الحديث الذي استدل به المؤلف فهو في «المعجم» وليس في «المسند». ولعله تصحيف من المؤلف أو الناسخ، قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/٣٤)، «خرجه الطبراني والحاكم (٤/٣١٤) من رواية عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي وهو واه» وقال الألباني ضعيف جداً «الأحاديث الضعيفة» (٥/١٧٧).

(٣) أما هذا فلا ينتهي الحديث عن آفاقه وقد أولاه علماء التهذيب والأخلاق اهتمامهم وألف عدد منهم مؤلفات مستقلة في الصمت وحفظ اللسان، وفي آفات اللسان بحوث ورسائل عديدة.

(٤) كالغيبة، والنميمة، والفحشاء، والمراء، والجدال، والخصومة، والغناء، والكذب، والسخرية، والاستهزاء، واللعن، والسب، والشتم وإفشاء السر والنفاق . . وغير ذلك كثير من آفات اللسان التي تفتح - كما قال - أبو أبا للشيطان.

وقد قال النبي ﷺ: «وَهَلْ يَكِبُ النَّاسُ عَلَيَّ مَنَاخِرَهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»^(١). وفي الترمذي: «أَنْ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ تُوْفِي فَقَالَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ: طَوْبِي لَه، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَمَا يَدْرِيكَ فَلَعَلَّهُ تَكَلَّمَ بِمَا لَا يَعْنِيهِ، أَوْ بَخَلَ بِمَا لَا يَنْقُصُهُ»^{(٢)(٣)}.

وأكثر المعاصي إنما تولد من فضول الكلام والنظر^(٤)، وهما أوسع مداخل الشيطان فإن جارحتهما لا يملان ولا يسأمان بخلاف البطن.

فإنه إذا امتلاً^(٥) لم يبق فيه إرادة للطعام، وأما العين واللسان فلو تركا لم يفترا.

وكان السلف يحذرون من فضول الكلام^(٦) وكانوا يقولون ما من شيء

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢٣١/٥)، والترمذي (١٢/٥)، وقال (هذا حديث حسن صحيح) رواه الحاكم في «المستدرک» (٤١٣/٢)، (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي.

(٢) رواه الترمذي (٢٣١٦/٤)، وقال «هذا حديث غريب» ورواه ابن أبي الدنيا في (كتاب الصمت) بلفظ آخر (ص ٧٣، ٧٤).

(٣) وردت أحاديث كثيرة في الحق على حفظ اللسان منها:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إِنَّ الْعَبْدَ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا يَزِلُ بِهَا فِي النَّارِ أَعْبَدُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ» رواه البخاري (١٨٤/٧) ومسلم (٢٢٩٠/٤). وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمِتْ» رواه البخاري (١٨٤/٧)، ومسلم (١٣٥٣/٣).

(٤) ولذا فحين سئل الرسول ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس النار قال: «الْأَجُوفَانُ: الْفَمُ وَالْفَرْجُ» «مسند الإمام أحمد» (٢٩١/٢).

والترمذي (٣٦٣/٤) وقال (هذا حديث صحيح غريب) ورواه الحاكم في «المستدرک» وصححه ووافقه الذهبي (٣٢٤/٤).

ووعده من يحفظها عن المحرمات بالجنة فقال رضي الله عنه «مَنْ يَضْمَنُ لِي مَا بَيْنَ لِحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنَ لَهُ الْجَنَّةَ» رواه البخاري (١٨٤/٧).

(٥) في المخطوطة (امتلى).

(٦) في المخطوطة (من فضول النظر) وهو خطأ فهو يتحدث عن فضول الكلام.

أحوج إلى طول السجن من اللسان^(١)(٢).

وأما فضول الطعام^(٣) فهو داع لأنواع كثيرة من الشر، فإنه تحرك الجوارح إلى المعاصي ويقلها^(٤) عن الطاعات وحسبك بهذين شرّاً فكم من معصية جلبها الشبع وفضول الطعام^(٥)، ولهذا جاء في بعض الآثار «ضيقوا مجاري الشيطان بالصوم»^(٦)، وقال النبي ﷺ: «ما ملأ آدمي وعاء شراً من»

(١) وينسب هذا القول لابن مسعود رضي الله عنه. انظر: «تصفية القلوب» يحيى بن حمزة اليماني (ص ١٠٠).

(٢) لكن ينبغي أن يعلم أن حفظ اللسان إنما هو من فضول الكلام وحفظ اللسان حق بين باطلين ذلك أن اللسان آفتين عظيمتين هما:

١- آفة الكلام ٢- آفة السكوت.

إن سلم العبد من إحداهما لم يكد يسلم من الأخرى، وليست الثانية بأقل خطراً من الأولى فالساكت عن الحق شيطان أخرس، والمتكلم بالباطن شيطان، وكثيرة من الناس انحرف لسانه إلى أحد الباطلين أو هما معاً.

وأهل الحق كفوا ألسنتهم عن الباطل وأطلقوها في الخير والفضائل صمتهم تذكروا ودعاء ومناجاة وكف عن الباطل، وكلامهم ذكر وأمر بمعروف ونهي عن المنكر.

قال تعالى ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَن أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]، وقال ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالا يهوى بها في جهنم» رواه البخاري (١٨٥/٧). انظر: «آفات اللسان» إبراهيم المشوخي (ص ١٥٩).

(٣) في المخطوطة (وأما فضول الكلام) وهو سبق لسان.

(٤) في المخطوطة (ويثقله) والصواب ما أثبتته من ابن القيم.

(٥) ذكر الإمام الغزالي في «منهاج العابدين» (ص ١٠٣) وما عدها عشر آفات لفضول الطعام الحلال، ثم قال فإن الدنيا حلالها وحرامها عقاب وزينتها إلى تباب فهذه جملة العشرة وفي إحداها كفاية لمن نظر لنفسه، (ص ١٠٦) ولا بن رجب الحنبلي - رحمه الله تعالى - بحث نفيس في هذا عند شرحه لحديث (ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطن) في كتابه «جامع العلوم والحكم» (ج ص ٣٠١٦ - ٣٢٨).

(٦) هذا جزء من الحديث وتامه «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيّقوا مجاريه بالجوع والصوم» والحديث متفق عليه بدون هذه الزيادة أعني «فضيقوا . . . الحديث» وقد ذكر الحديث ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في كتابه «حقيقة الصيام» (ص ٧٥) وعلق الألباني على =

بطن»^(١) ولو لم يكن في الامتلاء من الطعام إلا أنه يدعو إلى الغفلة عن ذكر الله، فإذا غفل القلب عن الذكر ساعة واحدة غلبه^(٢) الشيطان وشهاه وهام به في كل واد، فإن النفس إذا شبت تحركت وطافت على أبواب الشهوات وإذا جاءت سكنت وذلت^(٣).

وأما فضول المخالطة فهو الداء العضال، الجالب لكل شر، وكم سلبت المخالطة والمعاشرة من نعمة، وكم زرعت من عداوة، وكم غرست في القلب من حزازة، ففضول المخالطة^(٤) خسارة في الدنيا والآخرة، وإنما ينبغي للعبد أن يأخذ من المخالطة بمقدار الحاجة^(٥) ويجعل الناس فيها أربعة أقسام متى خلط أحد

= هذه الزيادة بقوله: «لا أعلم لها أصلاً في شيء من كتب السنة المطبوعة أو المخطوطة، وإنما ذكرها في الحديث الغزالي في موضعين من كتابه «الإحياء» (١/ ٢٠٨، ٣/ ٧٠) وأشار مخرجه العراقي إلى أنه لا أصل له» «حقيقة الصيام» لابن تيمية خرج أحاديثها الألباني (ص ٧٥، ٧٦). (١) ونص الحديث «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطن حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث طعام وثلث شراب وثلث لنفسه» رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ١٣٢). والحاكم في «مستدرکه» (٤/ ٣٣١، ٣٣٢) وصححه ووافقه الذهبي، صححه الألباني (إرواء الغليل) (٧/ ٤١).

(٢) كذا في المخطوطة وعند ابن القيم (جثم عليه) ولعل (جثم) سقطت من المخطوطة وتصفحت (عليه) إلى (غلبه) والكلام في الموضوعين مستقيم. والله أعلم.

(٣) عقد الإمام الغزالي في «الإحياء» (٣/ ٨٠) مبحثاً في فضيلة الجوع وذم الشبع وفي (ص ٨٤) عقد مبحثاً آخر في بيان فوائد الجوع وآفات الشبع وذكر أن في الجوع عشر فوائد منها صفاء القلب وإيقاد القريحة وإنفاذ البصيرة ومنها رقة القلب ومنها الانكسار والذل وزوال البط ومنها أن لا ينسى بلاء الله وعذابه ومنها كسر شهوات المعاصي، ومنها صحة البدن ودفع الأمراض وغير ذلك، ثم قال (فهذه عشر فوائد للجوع يتشعب من كل فائدة فوائد لا ينحصر عددها ولا تنتهي فوائدها) «الإحياء» (٣/ ٨٨).

(٤) في المخطوطة (فضول المخالطة بمقدار الحاجة) وسقط منها ما أثبتته من «تفسير المعوذتين» لابن القيم، ولعل هذا السقط سبق نظر من الناسخ.

(٥) ذكر ابن القيم رحمته ضابطاً لمخالطة الناس فقال: «والضابط النافع في أمر الخلطة أن يخالط الناس في الخير - كالجمعة والجماعة، والأعياد والحج، وتعلم العلم، والجهد، والنصيحة، =

القسام بالآخر ولم يميز بينهما دخل عليه الشر^(١):

(أحدها): من مخالطته كالغذاء، لا يستغنى عنه في اليوم والليلة، فإذا أخذ حاجته منه ترك الخلطة، ثم إذا احتاج إليه خالطه، هكذا على الدوام وهذا الضرب أعز من الكبريت الأحمر^(٢) وهم العلماء بالله وأمره، ومكائد عدوه، وأمراض القلوب، وأدويتها، الناصحون لله ولكتابه ولرسوله، ولخلقه، فهذا الضرب من مخالطتهم الربح كله.

(القسم الثاني): من مخالطتهم كالدواء، تحتاج إليه عند المرض^(٣) فما دمت صحيحًا فلا حاجة^(٤) لك في خلطته، وهم من لا تستغني عن مخالطتهم في مصلحة

= ويعتزلهم في الشر وفضول المباحات، فإن دعت الحاجة على خلطتهم في الشر ولم يمكنه اعتزالهم فالحذر أن يوافقهم وليصبر على أذاهم فإنهم لا بد أن يؤذوه إن لم يكن له قوة ولا ناصر، ولكنه أذى يعقبه عز ومحبة وتعظيم وثناء عليه منهم ومن المؤمنين ومن رب العالمين، وموافقتهم يعقبها ذل وبغض له ومقت وذم منهم ومن المؤمن ومن رب العالمين فالصبر على أذاهم خير وأحسن عاقبة وأحمد مآلاً.

وإن دعت الحاجة إلى خلطتهم في فضول المباحات فليجتهد أن يقلب ذلك المجلس طاعة لله، إن أمكنه ويشجع نفسه وقوي قلبه، فإن أعجزته المقادير عن ذلك فليسل قلبه من بينهم كسل الشجرة من العجين . . . » أنظر: «مدارج السالكين» لابن القيم (١/ ٤٥٥، ٤٥٦).

(١) قال ابن القيم -رحمه الله تعالى- «وكم جلبت خلطة الناس من نعمة ودفعت من نعمة وأنزلت من محنة، وعطلت من منحة، وأحلت من رزية، وأوقعت في بلية، وهل آفة الناس إلا الناس؟ . . ثم بين -رحمه الله تعالى- أن الصداقة التي تكون على نوع مودة في الدنيا وقضاء وطر بعضهم من بعض تنقلب إذا حقت الحقائق إلى عداوة ويعض الخليل على يديه ندماً كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٧٧﴾ يَا لَيْتَنِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٧٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ﴿٧٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩]، وقال تعالى: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [مدارج السالكين] (١/ ٤٥٥).

(٢) قال الميداني في «مجمع الأمثال» (٢/ ٤٤)، «وأما قولهم» أعز من الكبريت الأحمر «فيقال: هو الذهب الأحمر، ويقال بل هو لا يوجد إلا أن يذكر».

(٣) واستعمال الدواء عند الحاجة إليه - سلاح ذو حدين فكيف إن لم تكن إليه حاجة؟.

(٤) بل الضر عليك في خلطته.

المعاش، وقيام ما أنت تحتاج إليه في أنواع المعاملات والمشاركات والاستشارة. (القسم الثالث): من مخالطتهم كالداء، على اختلاف أنواعه، وقوته، وضعفه فمنهم من مخالطته كالداء العضال، وهو من لا تريح عليه في دين ولا دنيا ومع ذلك فلا بد أن تخسر عليه الدين والدنيا، أو أحدهما، فهذا إذا تمكنت مخالطته واتصلت، فهي مرض الموت والمخوف.

ومنهم من مخالطته كوجع الضرس، فإذا فارقك سكن الألم.

ومنهم من مخالطته حمى الربع^(١) وهو الثقيل البغيض الذي لا يحسن أن يتكلم فيفيدك ولا يحسن أن ينصت فيستفيد منك، ولا يعرف نفسه^(٢) فيضعها في منزلتها^(٣). بل إن تكلم، فكلامه كالعصي تنزل على قلوب السامعين، مع إعجابه بكلامه، وإن سكت فاثقل من نصف الرحى العظيمة التي لا يطاق حملها.

ويذكر عن الشافعي^(٤) رحمته الله قال: (ما جلس إلى جنبي ثقيل إلا وجدت الجانب الذي هو فيه أثقل من الجانب الآخر)^(٥).

(١) قال الثعالبي «الوباء: المرض العام. العِدَادُ المرض الذي يأتي لوقت معلوم مثل حمى الربع» «فقه اللغة» (ص ١٢٤).

(٢) في المخطوطة (منزلته).

(٣) قسم الخليل بن أحمد أحوال الناس فيما علموه أو جهلوه أربعة أقسام فقال: «الرجال أربعة: رجل يدري ويدري أنه يدري فذلك عالم فأسألوه، ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فذلك ناس فذكروه، ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري فذلك مسترشد فأرشدوه، ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذلك جاهل فافرضوه» اهـ. «أدب الدنيا والدين»: الماوردي (ص ٨٤).

(٤) هو محمد بن إدريس الشافعي أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة وإليه نسبة الشافعية ولد (سنة ١٥٠هـ) وتوفي (سنة ٢٠٤هـ) من شيخوخة سفيان بن عيينة ومالك بن أنس ومن تلاميذه أحمد بن حنبل وأبي ثور والأزرقي والماجشون والأصمعي وابن هشام وعلي المدني وأبو عبيد القاسم بن سلام والقاضي يحيى بن أكثم، والشافعي -رحمه الله تعالى- أشهر من أن يعرف.

(٥) ومن حكم الشافعي -رحمه الله تعالى- في مخالطة الناس «الانتقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط» «صفة الصفوة» ابن الجوزي (٢/٢٥٣). ومنها «لا خير في صحبة من تحتاج إلى مدارته» طبقات الشافعية الكبرى السبكي (٢/١٣٦).

ورأيت يوماً عند شيخنا^(١) -قدس الله روحه- رجلاً من هذا الضرب والشيخ يحمله وقد ضعفت القوى عن حمله، فالتفت إلي وقال: مجالسة الثقيل حمى الربيع. ثم قال: ولكن أدمنت أرواحنا على الحمل فصارت لها عادة، أو كما قال. وبالجملة فالمخالطة كل مخالف حمى الربيع، ومن نكد الدنيا على العبد أن يتلى بواحد من هذا الضرب، وليس له بد من معاشرته ومخالطته^(٢) فليعاشره بالمعروف حتى يجعل الله له فرجاً ومخرجاً.

(القسم الرابع): من مخالطته هلكة، ومخالطته بمنزلة أكل السم، فإن اتفق لأكله ترياق وإلا فأحسن الله فيه العزاء، وما أكثر هذا الضرب في الناس لأكثرهم الله، وهم أهل البدع والضلالة، الصادون عن سنة رسول الله ﷺ الداعون إلى خلافها فيجعلون البدعة سنة، والسنة بدعة.

إن جردت التوحيد قالوا: تنقصت الأولياء والصالحين، وإن جردت المتابعة للرسول قالوا: أهدرت الأئمة المتبوعين، وإن وصفت الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسول من غير غلو ولا تقصير قالوا: أنت من المشبهين، وإن أمرت بما أمر الله به ورسوله من المعروف ونهيت عن المنكر قالوا: أنت من المفتنين، وإن اتبعت السنة وتركت ما خالفها قالوا: أنت من الملبسين^(٣) وإن تركت ما أنت عليه واتبعت أهواءهم فأنت عند الله من الخاسرين وعدهم من المنافقين^(٤).

(١) المراد به ابن تيمية -رحمه الله تعالى- شيخ ابن القيم مؤلف أصل التفسير.

(٢) إشارة إلى قول المتنبي:

ومن نكد الدنيا على المرء أن يرى عدواً له ما من صداقته بد

(٣) عند ابن القيم «وإن اتبعت السنة وتركت ما خالفها قالوا: أنت من أهل البدع المضلين، وإن انقطعت إلى الله تعالى وخلصت بينهم وبين جيفتهم الدنيا قالوا: أنت من الملبسين».

(٤) وهذا ما يلاقيه الدعاة والمصلحون في كل مكان وكل زمان الذين طالما اشتكوا من أهل زمانهم وليست شكى الوهن واليأس ولكنها شكى النصيحة والتعليم لمن بعدهم بأن هذا شأن الناس مع المصلحين والمجددين وهذا الإمام الشاطبي يشتكي من آل زمانه فيقول بعد أن يعد ما اتهم به ويدفع كل تهمة: «فكنت على حالة تشبه حالة الإمام الشهير عبد الرحمن بن بطة الحافظ مع =

فالحزم كل الحزم التماس مرضاة الله ورسوله بإغضابهم وأن لا تبالي بدمهم
ولا بغضهم فإنه عين كمالك . كما قال :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني فاضل^(١)
وقال آخر^(٢) :

لقد زادني حبًا لنفسي إنني^(٣)

بغض إلى كل امرئ، غير طائل^(٤)

فمن كان^(٥) بواب قلبه وحارسه من هذه المداخل الربعة التي هي أصل بلاء

= أهل زمانه إذ حكى عن نفسه فقال: «عجبت من حالي في سفري وحضري مع الأقربين والأبعدين والعارفين والمنكرين . . إلى أن قال: فإن كنت صدقته فيما يقول وأجزت له ذلك - كما يفعله أهل هذا الزمان - سماني موافقًا، وإن وقفت في حرف من قوله أو في شيء من فعله سماني مخالفًا، وإن ذكرت في واحد منها أن الكتاب والسنة بخلاف ذلك وارد سماني خارجيًا. وإن قرأت عليه حديثًا في التوحيد سماني مشبهًا، وإن كان في الرؤية سماني سالميًا، وإن كان في الإيمان سماني مرجئيًا، وإن كان في الأعمال سماني قدريًا، وإن كان في المعرفة سماني كراميًا، وإن كان في فضائل أبي بكر وعمر سماني ناصبيًا، وإن كان في فضائل أهل البيت سماني رافضيًا، وإن سكت عن تفسير آية أو حديث فلم أجب فيهما إلا بهما سماني ظاهريًا وإن أجبت بغيرهما سماني باطنيًا وإن اجبت بتأويل سماني شعريًا، وإن جحدتهما سماني معتزليًا . . إلى أن قال . . ومهما وافقت بعضهم عاداني غيره، وإن داهنت جماعتهم اسخطت الله تباك وتعالى ولن يغنوا عني من الله شيئًا، وإني مستمسك بالكتاب والسنة، واستغفر الله الذي لا إله إلا هو الغفور الرحيم» «الاعتصام» (٢٨/١، ٢٩) (قلت) فما أبلغها من شكوى وما أبلغه من درس.

(١) هذا البيت للمنتبي من قصيدة يمدح فيها القاضي أبا الفضل أحمد بن عبد الله الأنطاكي . انظر: «شرح ديوان المنتبي» للبرقوقي (٣/٣٧٦) وورد فيه السطر الثاني من البيت هكذا: (فهني الشهادة لي بأني كامل).

(٢) سقطت من المخطوطة .

(٣) في المخطوطة (وقد) وكذا وعند ابن القيم - في المخطوطة (باني).

(٤) هذا البيت للطرماح بن حكيم . انظر: «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (ص ٢٩٠).

(٥) عند ابن القيم (فمن أيقظ بواب قلبه).

العالم وهي فضول النظر، والكلام، والطعام، والمخالطة، واستعمل ما ذكرناه من الأسباب التسعة^(١) التي يتحرز بها من الشيطان فقد أخذ بنصيبه من التوفيق وسد على نفسه باب جهنم وفتح عليها باب الرحمة ويوشك أن يحمد عند الممات عاقبة هذا الدواء، فعند الممات يحمد العبد التقي^(٢) و(عند الصباح يحمد القوم السرى)^(٣).

والله الموفق لا رب غيره ولا إله سواه.

آخر الكلام على السورتين^(٤) والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وسلم.

-
- (١) أي التي قبل هذا الحرز، فالمجموع عشرة.
(٢) أحسبه مثلاً لكني لم أجده في كتب الأمثال.
(٣) هذا شطر بيت لخالد بن الوليد رضي الله عنه وهو:

عند الصباح يحمد القوم السرى وتنجلي عنهم غيابات الكرى

وهو من أبيات لخالد قالهن حين أمره أبو بكر رضي الله عنه وهو باليمامة أن يسير إلى العراق، فسلك المفازة وجدَّ في السير فقطعها في أربع ليال والمثل يضرب لمن يحتمل المشقة رجاء الراحة «مجمع الأمثال» الميداني (٣/٢).

(٤) ذكر العلماء -رحمهم الله تعالى- نكتة لطيفة في ختم القرآن الكريم بسورة الناس وبيانها: «أن القرآن مادة الهدى والعلم والخير في القلب، كما أن الماء مادة النبات، والشيطان نار يحرق النبات أولاً فأول، فكلما أحس بنبات الخير من القلب سعى في إفساده وإحراقه فأمر أن يستعيز بالله ﷻ منه ثلثا يفسد عليه ما يحصل له بالقرآن.

. . . وكان من قال أن الاستعاذة بعد القراءة لاحظ هذا المعنى وهو لعمر الله ملحظ جيد، إلا أن السنة وآثار الصحابة إنما جاءت بالاستعاذة قبل الشروع في القراءة وهو قول جمهور الأئمة من السلف والخلف وهو محصل للأمرين». «إغاثة اللهفان» لابن القيم (١/١١٠).

والله أعلم وصلى الله على نبيان محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المراجع

- ١- آفات اللسان، إبراهيم المشوخي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م، مكتبة المنار، الأردن.
- ٢- آكام المرجان في أحكام الجان، لأبي عبد الله عمر بن عبد الله الشبلي، دار الباز- مكة المكرمة.
- ٣- إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، دار الندوة الجديدة، بيروت.
- ٤- أدب الدنيا والدين، لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، تحقيق وتعليق/ مصطفى السقا، دار الباز، مكة المكرمة، الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ.
- ٥- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، د. صالح بن فوزان الفوزان، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية الطبعة الأولى (١٤١٠هـ).
- ٦- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، أبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار المصحف، القاهرة.
- ٧- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.
- ٨- الاعتصام، أبو إسحاق إبراهيم الشاطبي، دار المعرفة، بيروت.
- ٩- إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، ابن القيم، تحقيق/ محمد سيد كيلاني، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه بمصر (١٣٨١هـ).
- ١٠- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

- ١١- إيقاظ الحواس في بعض أسرار سورة الناس، السيد عبد الله بن عبد الله الباري الأهدل، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة.
- ١٢- البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي، دار الفكر- الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
- ١٣- بدائع الفوائد، ابن القيم، دار الكتاب العربي، بيوت، مصورة عن طبعة إدارة الطباعة المنيرية.
- ١٤- بضع رسائل في التوحيد والإيمان، الشيخ الإمام/ محمد بن عبد الوهاب، دار نشر الكتب الإسلامية، لاهور، باكستان.
- ١٥- تاج العوس، محمد مرتضى الزبيدي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
- ١٦- التأليف في خلق الإنسان، د. وجيه السطل، دار الحكمة، دمشق.
- ١٧- الترغيب والترهيب، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، ضبط وتعليق مصطفى عمارة، الناشر مصطفى الحلبي- مصر، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨هـ.
- ١٨- تصفية القلوب من درن الأوزار والذنوب، يحيى بن حمزة اليماني الذماري المكتبة السلفية ومطبعتها، بمصر.
- ١٩- تفسير الفاتحة، شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، تحقيق فهد بن عبد الرحمن الرومي، مكتبة الحرمين، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ.
- ٢٠- تفسير سورة الفلق، شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، تحقيق وتعليق فهد بن عبد الرحمن الرومي، مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- ٢١- التفسير الكبير، الفخر الرازي، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٢٢- تفسير ابن كثير، مكتبة النهضة الحديثة، بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ.
- ٢٣- تفسير المعوذتين لابن القيم، تحقيق وتعليق مصطفى بن العدوي، مكتبة

الصديق، الطائف، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٢٤- تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر بيروت
مصورة عن الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند ١٣٢٥هـ.

٢٥- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، تحقيق وتعليق
وتخريج محمود وأحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر، وأيضاً طبعة المطبعة
الأميرية ببولاق، الطبعة الأولى ١٣٢٩ (مصورة دار المعرفة- بيروت).

٢٦- جامع البيان في تفسير القرآن، السيد معين الدين محمد بن عبد الرحمن
الحسني الأيجي، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ.

٢٧- الجامع الصحيح، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق
وشرح أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٨- جامع العلوم والحكم، لأبي الفرج عبد الرحمن بن رجب: الناشر:
المؤسسة السعيدية بالرياض.

٢٩- الجامع لأحكام القرآن، أبي عبد الله محمد القرطبي، أعاد طبعه دار إحياء
التراث العربي، بيروت، ١٩٦٧م.

٣٠- رسالة في حقيقة الصيام، ابن تيمية، خرج أحاديثها محمد ناصر الدين
الألباني، المكتب الإسلامي- دمشق.

٣١- سلسلة الأحاديث الضعيفة، محمد ناصر الدين الألباني، طبعة المكتب
الإسلامي، دمشق، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ، وطبعة مكتبة المعارف- الرياض
الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ (الثالث والرابع).

٣٢- سنن الدارمي، دار الفكر- القاهرة، ١٣٩٨هـ.

٣٣- سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء السنة
النبوية.

٣٤- سنن المصطفى، ابن ماجه، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت.

- ٣٥- سنن النسائي، مع شرح الحافظ جلال الدين السيوطي، وحاشية الإمام السندي، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ.
- ٣٦- شرح ديوان المتنبي، وضعه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي بيروت.
- ٣٧- شرح العقيدة الطحاوية، علي بن علي بن محمد بن أبي العز، تحقيق د. عبد الله التركي، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- ٣٨- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى- مصر، الطبعة الخامسة، ١٣٨٦هـ.
- ٣٩- الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق د. مفيد قمحية، ونعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.
- ٤٠- الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ، على نفقة السيد حسن عباس الشربتلي.
- ٤١- صحيح البخاري، المكتبة الإسلامية- استانبول- تركيا- ١٩٧٩م.
- ٤٢- صحيح مسلم، تحقيق وتصحيح وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، رئاسة إدارات البحوث العلمية- الرياض ١٤٠٠هـ.
- ٤٣- صفة الصفوة، جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي، دار المعرفة- بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.
- ٤٤- الصمت، لابن أبي الدنيا، تحقيق د. محمد أحمد عاشور، دار الاعتماد القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- ٤٥- ضعيف الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ١٣٩٨هـ.

٤٦- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب السبكي، تحقيق عبد الفتاح الحلو، محمود الطناحي، الطبعة الأولى، عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٣٨٣هـ-١٩٦٤م.

٤٧- غرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة الكرمانلي، تحقيق د. شمران العجلي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن- دمشق.

٤٨- الفائق في غريب الحديث، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق علي البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة- بيروت، الطبعة الثانية.

٤٩- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تصحيح وتعليق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٥٠- فقه اللغة وسر العربية، الإمام أبي منصور إسماعيل الثعالبي، دار الباز- مكة المكرمة.

٥١- القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٥٢- الكشاف، محمود بن عمر الزمخشري، دار الباز- مكة المكرمة.

٥٣- كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.

٥٤- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت.

٥٥- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم، وابنه محمد، مطابع الرياض، الطبعة الأولى، ١٣٨١هـ.

٥٦- مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية- القاهرة، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.

- ٥٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ.
- ٥٨- مدارج السالكين، ابن القيم، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م.
- ٥٩- المستدرک علی الصحیحین، محمد بن عبد الله الحاكم، مكتبة النص-الرياض.
- ٦٠- مسند الإمام أحمد، المكتب الإسلامي دار صادر بيروت، مصورة عن طبعة المطبعة الميمنية، ١٣١٣هـ، وطبعة دار المعارف بمصر سنة ١٣٧٠هـ، تحقيق أحمد شاكر، وطبعة الاعتصام، تحقيق عبد القادر عطا، والدكتور محمد أحمد عاشور.
- ٦١- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، عالم الكتب، بيروت الطبعة الثانية، ١٩٨٠م.
- ٦٢- المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، وزارة الأوقاف، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.
- ٦٣- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار زين الدين أبي عبد الرحيم بن الحسين العراقي، ضمن إحياء علوم الدين- للغزالي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ١٣٥٨هـ.
- ٦٤- مغني اللبيب عن كتب الأعراب، أبو محمد عبد الله بن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الباز، مكة المكرمة.
- ٦٥- مناهج الجدل في القرآن الكريم، د. زاهر عواض الألمعي، مطابع الرياض.
- ٦٦- منهاج العابدين، ، لأبي حامد الغزالي، مكتبة الجندي، بمصر، ١٣٩٢هـ.
- ٦٧- مؤلفات الشيخ الإمام/ محمد بن عبد الوهاب، تصنيف وإعداد عبد العزيز الرومي، د. محمد بلتاجي، د. سيد حجاب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

- ٦٨- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لأبي البركات الأنباري، تحقيق د. إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار- الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.
- ٦٩- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، ابن الأثير، تحقيق محمود الطناحي، المكتبة الإسلامية لصاحبها رياض الشيخ.
- ٧٠- الوابل الصيب من الكلم الطيب ابن القيم، تحقيق وتخريج عبد القادر الأرنؤوط- مكتبة دار البيان، دمشق، الطبعة الثانية- ١٣٩٩هـ.
- ٧١- وفيات الأعيان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر بيروت، ١٣٩٧هـ.
- ٧٢- وقاية الإنسان من الجن والشيطان، وحيد عبد السلام بالي، دار البشير القاهرة، دار الحمدان، الرياض، الطبعة الثانية.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
التعريف بالمؤلف	٨
التعريف بالتفسير	١٠
تفسير سورة الناس	١٥
ما تضمنته السورة	١٥
المستعاذ به	١٥
طريقة القرآن في الاحتجاج	١٩
سر تقديم الربوبية على الألوهية	٢٢
سر توسط الملك بين الربوبية والألوهية	٢٢
وجه اشتمال الإضافات الثلاثة على قواعد الإيمان	٢٣
وجه تضمينها لمعاني أسمائه الحسنی	٢٣
وجه تضمين اسم (الله) لجميع معاني الأسماء الحسنی	٢٦
الاستعاذة في السورة من الشر الداخل	٢٦
معنى الوسوسة	٢٨
معنى (الخناس)	٢٩
سر الاستعاذة من الوسواس وليس الوسوسة	٣٣

من شرور الشيطان	٣٤
مراتب شر الشيطان ست	٣٦
الأولى: الكفر والشرك	٣٦
الثانية: البدعة	٣٧
الثالثة: الكبائر	٣٧
الرابعة: الصغائر	٣٨
الخامسة: أشغال العبد بالمباحات	٣٩
السادسة: اشتغاله بالمفضول عن الأفضل	٣٩
السر في كون الوسوسة في الصدور وليست في القلوب	٤١
تفسير (من الجنة والناس)	٤٢
الوسواس إنس وجن	٤٣
أسباب الاعتصام من الشيطان عشرة	٤٦
الأول: الاستعاذة بالله	٤٦
الثاني: قراءة المعوذتين	٤٦
الثالث: آية الكرسي	٤٧
الرابع: قراءة سورة البقرة	٤٧
الخامس: خاتمة البقرة	٤٨
السادس: أول سورة حم المؤمن	٤٨
السابع: لا إله إلا الله وحده لا شريك له . . إلخ	٤٨
الثامن: كثرة ذكر الله ﷻ	٤٩
التاسع: الوضوء والصلاة	٥٠
العاشر: إمساك فضول النظر والكلام والطعام والمخالطة	٥١

٥١ ضرر فضول النظر
٥٢ ضرر فضول الكلام
٥٤ ضرر فضول الطعام
٥٥ ضرر فضول المخالطة
٥٥ أنواع مخالطة الناس
٥٦ من مخالطة كالغذاء
٥٦ من مخالطة كالدواء
٥٧ من مخالطة الداء
٥٨ من مخالطة هللكه
٦١ المراجع

صدر أيضاً عن الدار

تفسير الفاتحة

لشيخنا العلامة محمد بن عبد الوهاب بن محمد

تقديم

سماحة الشيخ الإمام

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

صاحب المعالي شيخ

الإمام محمد بن عبد الوهاب بن محمد

محقق وعلامة

د. محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب

أستاذ الدراسات العليا

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الدار الإسلامية
للنشر والتوزيع

الدار الإسلامية
للنشر والتوزيع

مضمون خاص لطلبات الحملة وللمداس القرآنية وللتنوع الخيرية